

مُعَاذِي لَا بَيْتَ الْعَرَبِيَّةِ

الدكتور
فاضل صالح السامرائي

دار عمار

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المكتبة الوطنية

٢٠٠٦ / ١٢ / ٤١٠٦



دارعمر للنشر والتوزيع

عشقان - ساحة الجامع الحبيبي، سوق ليترام - عمارة الحفيري
للفاكس ٤٦٥٢٤٣٧ - ص.ب ٩٢١٦٩١ عشقان ١١١٩٢ الأردن

مَعَالِي الْأَنْبِيَاءِ فِي الْعَرَبِيَّةِ

الدكتور فاضل صالح السامرائي

دار عمار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن موضوع هذا الكتاب - ولا أقول هذا الكتاب - موضوع مهم غاية الأهمية في البحث اللغوي فإنه يبحث في دلالة البنية ومعناها، وهو موضوع جليل جدير بالبحث وبذل الجهد الضخم.

إن اللغويين القدامى ويا للأسف لم يؤلوه ما يستحق من الأهمية فإنهم نظروا بصورة خاصة في شروط الصيغ ومقيسها ومسموعها وقعدوا لذلك القواعد، أما مسألة المعنى فإنهم كانوا يمرّون بها عرضاً. ولا أقول إنهم أغفلوا المعنى البتة؛ بل هم ذكروا أحياناً قسماً من معاني الصيغ فقد ذكروا معنى الفِعالَة والفَعْلان والفُعّال ومعاني أبنية أخرى في المصادر، وذكروا المعاني العامة لقسم من أبنية الصفة المشبهة، وقد اجتهد قسم منهم في تفسير قسم من معاني أبنية المبالغة وغيرها من الأبنية إلا أن البحث لا يزال ناقصاً غير مكتمل. وتفسيرهم في كثير من الأحيان اجتهد لا يقوم على أمر مقطوع به. ونحن لا نبخسهم اجتهدهم هذا؛ بل هم أهل الفضل والسبق فيما اجتهدوا فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا الْكَاسَ أَسْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥] ولكننا كنا نود أن يستمر بحثهم وتنقيحهم واجتهدهم في النظر في معاني الأبنية عموماً ولكنهم لم يفعلوا.

إن كثيراً منا الآن لا يدرك كثيراً من معاني الأبنية ولا يميز بينها، فهو لا يميز مثلاً بين نَشِيط ونَشِيط، وعَسِير وعَسِير، وأَحْمَق وحَمَق، وأَجْرِب وجَرِب، وصَدِيان وصِدِّ،

وعطشان وعطش، وغيرها كثير في الصفة المشبهة. ولا يميزُ بين مفعول وفعل وفاعلة في اسم المفعول فلا يعرف الفرق بين مقتول وقتيل مثلاً وذبيح وذبيحة.

وإذا كان قسم من النحاة حاولوا أن يفسروا بعض هذه الصيغ فإن هذا التفسير أو النظر في المعنى لم يأخذ قسطه في الدراسات اللغوية على العموم بحيث إن أكثر دارسي العربية أو كثيراً منهم يجهلون الفروق بينها.

ومثل هذا نقول في أوزان المبالغة فإنهم لم يفرقوا بين معانيها. وقد كان قسم من النحاة حاولوا فيما بعد أن يشرحوا قسماً من أبنية المبالغة نحو: فَعَّالٌ وَمِفْعَالٌ وَمِفْعَلٌ نحو: كَذَّابٌ وَمِعْطَاءٌ وَمِسْعَرٌ إلّا أنهم لم ينظروا في بقية الأوزان فهم لم يشرحوا فِعْيَالاً ولا فاعولاً مثلاً ولا كثيراً من أبنية المبالغة الأخرى.

بل إنهم لم يذكروا إلا مبالغة اسم الفاعل علماً بأن هناك صيغاً لمبالغة اسم المفعول لم يذكروها ولم يعقدوا لها باباً.

وحسبك أن دارس العربية لا يرى فرقاً أو لا يفكر فيما إذا كان ثمة فرق بين صَبَّارٍ وَصَبُورٍ، وَغَفَّارٍ وَغَفُورٍ، وَهَمَّازٍ وَهَمْزَةٍ، وَمَنْحَارٍ وَنَحَّارٍ، وَعِلَامٌ وَعِلَامَةٌ، حتى أن الصبان قال: «لم أر في ذلك نقلاً».

ولا شك أنه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة إذ كلُّ عدول من صيغة إلى أخرى لا بد أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر إلا إذا كان ذلك لغة.

وقُلْ مثل هذا عن الجموع فإن الأولين ذكروا جموع القِلَّة والكثرة وذكروا دلالة بعض الأبنية نحو: فَعَلَى وَفَعَالَى كَحَمَقَى وَمَوْتَى وَعِطَاشَى ولكنهم لم يبينوا دلالات عموم الأبنية في الجموع فهم لم يفرقوا مثلاً بين فعلاء وفِعال كضعفاء وضعاف ولا بين الفُعَال والفَعْلَة كالكُتَّاب والكَتَبَة أو فُعوْل وفُعلَان كذُكُور وذُكْرَان وغيرها من الأبنية، قال تعالى: ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورُ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠] فمرة قال (ذكور) ومرة قال (ذكوران) ولكن لم قال ذلك؟ وهل هناك فرق بينهما في المعنى؟ إنه لم يشر أحد إلى ذلك فيما أعلم.

وقال: ﴿وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾ [النساء: ٩].

وقال: ﴿وَلَمْ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا﴾ [البقرة: ٢٦٦].

فما الفرق بينهما؟

والجواب هو لا جواب عند النحاة أو المفسرين في حدود ما أعلم.

إننا الآن نستعمل الأبنية مجردة من معناها الدقيق المتميز فنقول: (هو نشيط أو نشط) كما يحلو لذوقنا لا كما يقتضي المعنى ولا نقصد باستعمال كل منهما معنى خاصاً به، وكذلك عسير وعسير، وقُلْ مثل ذلك عن أكثر الأبنية في الجموع والمبالغة وغيرها.

وسبب ذلك يعود إلى أن الأقدمين لم يركزوا البحث في هذه المسألة ولم يقطعوا في شأنها بشيء بل كانت دراساتهم في الأكثر منصبة على كيفية صوغ البناء، وهل هو مسموع أو مقيس مجرداً من المعنى.

وهذا البحث محاولة لدرس معاني كثير مما اشتهر من الأبنية ولا أقول هو درسٌ للأبنية كلها.

وقد حاولت الوصول إلى المعنى على طريق النظر والموازنة بين النصوص في استعمال الصيغ، وهذا النظر قائم على الاستعمال القرآني أولاً علماً بأنني أعلم أن القرآن الكريم قد استعمل بعضاً من الأبنية لمعانٍ خَصَّها به هو، وقائم أيضاً على دراسة الضوابط العامة والأصول التي وضعها علماء اللغة، وعلى المعاني التي يفسرون بها المفردات أو الأبنية.

إن هذا البحث محاولة أولية متواضعة للسير في هذا الطريق المظلم أو القليل النور، والباب بعد مفتوح للبحث الجاد الطويل في هذا الأمر العظيم الجليل.

وحسبي من هذا البحث لفت النظر إلى أمر أحسبه لا يقل أهمية عن كل ما كُتب في موضوعات اللغة والصرف بل ربما فاقها أو فاق كثيراً منها. وهو شفعي فيما كتبت.

أسأل الله الإحسان في العمل والسداد في الرأي والصواب في الأمر كله إنه سميع
مجيب.

الاسم والفعل

يقول اللغويون: إن الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والحدوث فإذا قلت: (خالد مجتهد) أفاد ثبوت الاجتهاد لخالد، في حين أنك إذا قلت: (يجتهد خالد) أفاد حدوث الاجتهاد له بعد أن لم يكن، وكذا إذا قلت: (هو حافظ) أو (يحفظ) فـ (حافظ) يدل على الثبوت و(يحفظ) يدل على الحدث والتجدد ونحوه: هو خطيب أو يخطب، وهو كريم أو هو يكرم، وهو جواد أو يجود؛ فإن خطيباً وكريماً وجواداً تفيد ثبوت الصفة في صاحبها وأن صاحبها متصفٌ بها على سبيل الدوام في حين أن يحفظ أو يخطب أو يكرم أو يجود تدل على التجدد والحدوث.

وسرُّ ذلك أن الفعل مُقَيَّدٌ بالزمن، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل وأعم وأثبت.

جاء في «الإيضاح»: «وأما كونه - يعني المسند - فعلاً فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يكون مع إفادة التجدد، وأما كونه اسماً فلإفادة عدم التقييد والتجدد»^(١).

وقال عبد القاهر الجرجاني: «إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء. فإذا قلت: (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلاً له

(١) «الإيضاح» للقرظيني (١ / ٨٧).

من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل وعمرو قصير)، فكما لا يقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث بل تُوجِبهما وتثبتهما فقط وتقتضي بوجودهما على الإطلاق كذلك لا تتعرض في قولك: (زيد منطلق) لأكثر من إثباته لزيد.

وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك. فإذا قلت: (زيد هو ذا ينطلق) فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاوله ويُزَجِّيه. . . وإذا أردت أن تعتبره بحيث لا يخفى أن أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه فانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] فإن أحداً لا يشك في امتناع الفعل ههنا، وإن قولنا: كلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدي الغرض. وليس ذلك إلا لأن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وترجية فعلٍ ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً^(١).

وجاء في «التفسير الكبير» للفخر الرازي: «أن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال: فلان شرب الخمر، وفلان شارب الخمر، وفلان نفذ أمره، وفلان نافذ الأمر، فإنه لا يُفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ومن اسم الفاعل يُفهم ذلك»^(٢).

وجاء في «نهاية الإيجاز» له: «الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها، فإذا قلت: (زيد منطلق) لم يفد إلا إسناد الانطلاق إلى زيد. وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها فإذا قلت: (انطلق زيد) أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد. وكل ما كان زمانياً فهو متغير، والتغير مُشعر بالتجدد؛ فإذا الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثابت في التجدد والاسم لا يقتضي ذلك.

ويشبه أن يكون الاسم في صحة الإخبار به أعم وإن كان الفعل فيه أكمل وأتم لأن

(١) «دلائل الإعجاز» (١٣٣ - ١٣٤).

(٢) «التفسير الكبير» (ج ٢٥ / ٢٩).

الإخبار بالفعل مقتصر على الزمانيات أو ما يقدر فيه ذلك، والإخبار بالاسم لا يقتضي ذلك^(١).

فاتضح أن الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدَعَوْتُوهُمْ أَمْ أُنْتُصِرْتُمْ صَنِيعُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٣]. ففرق بين طرفي التسوية فقال: ﴿أَدَعَوْتُوهُمْ﴾ بالفعل ثم قال: ﴿أَمْ أُنْتُصِرْتُمْ صَنِيعُكُمْ﴾ بالاسم ولم يسوّ بينهما فلم يقل: أَدَعَوْتُوهُمْ أَمْ صَمْتُمْ بالفعلية، أو: أأنتم دأعوهم أَمْ أأنتم صامتون.

وذلك أن الحال الثابتة للإنسان هي الصمت وإنما يتكلم لسبب يعرض له. ولو رأيت إنساناً يكلم نفسه لاتهمته في عقله، فالكلام طارئ يحدثه الإنسان لسبب يعرض له ولذا لم يسوّ بينهما بل جاء للدلالة على الحال الثابتة بالاسم (صامتون) وجاء للدلالة على الحال الطارئة بالفعل (دعوتموهم) أي: أأحدثتم لهم دعاء أَمْ بقيتم على حالكم من الصمت.

جاء في «الكشاف» في هذه الآية: «فإذا قلت: هلاً قيل: أَمْ صمتّم؟ ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية؟ قلت: لأنهم كانوا إذا حَزَبهم أمرٌ دعوا الله دون أصنامهم... فكانت حالتهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم. فقيل: إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم»^(٢).

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩] كيف فرّق بينهما فلم يقل: صافات وقابضات أو يصففن ويقبضن وذلك أن الأصل في الطيران صف الأجنحة والقبض طارئ، فكان الصف بـصيغة الاسمية للدلالة على الثبوت والقبض بـصيغة الفعلية للدلالة على التجدد والحدوث.

قال الزمخشري: «فإن قلت: لم قيل: (ويقبضن) ولم يقل: (وقابضات)؟

(١) «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» (٤٠ - ٤١).

(٢) «الكشاف» (١ / ٥٩٢).

قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأما القبض فطاريء على البسط للاستظهارية على التحرك فجيء بما هو طاريء غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهم صافات ويكون منهم القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح»^(١).

وانظر إلى قوله سبحانه في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا قُؤَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]، فقد فرق بين قولهم للمؤمنين وقولهم لأصحابهم، فقد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث ﴿آمَنَّا﴾، وخاطبوا جماعتهم بالجملة الاسمية المؤكدة الدالة على الثبوت والدوام ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ولم يسو بينهما فلم يقولوا (إنا مؤمنون) كما قالوا (إنا معكم) «وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعد على إذ ليس لهم من عقائدهم باعثٌ ومحركٌ، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق ورغبة واعتقاد... وإما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزولوا عنه على صدق رغبة وفور نشاط وارتياح للتكلم به»^(٢).

وجاء في «تسهيل السبيل» للبكري أنهم «خاطبوا بالجملة الفعلية أولاً في (قالوا آمنا) وبضدها في (إنا معكم) لإظهار الثابت على معتقدتهم الفاسد وأن ما خاطبوا به المؤمنين أمر متجدد بسبب لقائهم تقية فقط»^(٣).

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: ٢٨]، ففرق بين الشرط والجزاء فقال: ﴿بَسَطْتَ﴾ بالفعل، وقال: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾ بالاسم ولم يسو بينهما فلم يقل: لئن بسطت لا أبسط «ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع»^(٤). أي: أنا لست من أصحاب هذا الوصف وأن هذا الخلق ليس

(١) «الكشاف» (٣ / ٢٥٤).

(٢) «الكشاف» (١ / ١٤٢).

(٣) «تسهيل السبيل» للبكري (سورة البقرة).

(٤) «الكشاف» (١ / ٤٥٦).

من شيمي ووصفي .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ [الشعراء : ١٣٦] ،
ففرق بينهما فلم يقل : أوعظت أم لم تعظ وذلك «لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا
الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشرته فهو أبلغ في قلة اعتدادهم
بوعظه من قولك : أم لم تعظ»^(١) .

ولهذا يعدل أحياناً عن الفعل إلى الاسم فقد يكون الأصل أن يعبر عن الحدث
بالفعل ومع ذلك يؤتى بالاسم للدلالة على الثبوت كأن تقول لصاحبك : أنتجح هذا
العام؟ فيقول : أنا ناجح . فهو لشدة وثوقه بنفسه يجيب وكأن الأمر قد تم وأنصف
صاحبه به وإن لم يكن ذاك .

ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَمِيعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران : ٩] ،
والأصل : تجمع الناس لأنه في الاستقبال ولكن لأن الأمر متحقق ثابت أخبر عنه باسم
الفاعل الدال على الثبوت .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ [الذاريات : ٦] أي : الحساب ولم يقل
(يقع) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ
وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود : ١٠٣] ، «فإنه إنما أثر اسم المفعول الذي هو (مجموع) على
الفعل المستقبل الذي هو (يجمع) لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه
الموصوف بهذه الصفة .

وإن شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ [التغابن : ٩] ،
فإنك تعثر على صحة ما قلت»^(٢) .

(١) «تفسير الرازي» (٢٤ / ١٥٧ - ١٥٨) .

(٢) «المثل السائر» (٢ / ١٨ - ١٩) وانظر «الإيضاح» للقرطبي (١ / ٧٧) ، «الكشاف» (٣ / ٦ - ٧) ﴿ إِنَّا
سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَكُمْ يُنِجْنَ ﴾ ، «التفسير القيم» (٥٢٩ ، ٥٣١ - ٥٣٢) (سورة الكافرون) ، «الإتقان» (١ / ١٩٨) .

ولكون الاسم دالاً على الثبوت كان الوصف بالاسم أقوى من الوصف بالفعل
فقولك (هو مَطَّلَع) أثبت وأقوى من قولك (هو يَطْلُع)، و(هو متعلم) أثبت وأقوى من
قولك (هو يتعلم) و(هو جواد) أثبت من قولك (هو يوجد).

فإن قولك (هو مَطَّلَع) يدل على تمكن الصفة في صاحبها وثبوتها فيه ورسوخ
صاحبها في هذا الوصف بخلاف قولك (هو يَطْلُع) فإنه لا يدل على ذلك بل يدل على
أنه آخذ في سبيل الاطلاع وكذا ما بعده.

قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ ﴿ [الذاريات: ٢٤ - ٢٥]، ففرق الله سبحانه وتعالى بين السلامين فجعل الأول
بالنصب والثاني بالرفع ولم يسو بينهما وذلك لأن قوله (سلاماً) تقديره: نُسَلِّمُ سلاماً أي
بتقدير فعل، وقوله (سلام) تقديره: سلام عليكم، أي بتقدير اسمية الجملة، والاسم
أثبت وأقوى من الفعل فدل على أن إبراهيم عليه السلام حيا الملائكة بخير من تحيتهم.

قال الفخر الرازي في هذه الآية: «وأما من حيث المعنى فذلك لأن إبراهيم عليه
السلام أراد أن يرد عليهم بالأحسن فأتى بالجملة الاسمية فإنها أدل على الدوام
والاستمرار، فإن قولنا: جلس زيد لا يبنىء عنه لأن الفعل لا بد فيه من الإنشاء عن
التجدد والحدوث ولهذا لو قلت: الله موجود الآن لأثبت الفعل الدوام إذ لا يبنىء عن
التجدد ولو قال قائل: وجد الله الآن لكاد ينكره العاقل»^(١).

ومثل هذا إذا قلت: الحمد لله أو حمداً لله، فإن أهل البيان يفرقون بين هذين
القولين ويعدون التعبير بالرفع أقوى منه بالنصب، وكذا لو قلت: أحمد الله.

جاء في «الكشاف»: «الحمد لله: ارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو
(لله). وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي
تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار كقولهم: شكراً وكفراً وعجباً وما أشبه

(١) «تفسير الرازي» (٢٨ / ٢١٢). وانظر «الكشاف» (١ / ٣٨ - ٣٩، ٣ / ١٦٩)، «بدائع الفوائد» (٢ / ١٥٧)، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود محمد العمادي.

ذلك . ومنها : سبحانك ومعاذ الله يُنزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدّها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة ، والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَتْ سَلَمٌ ﴾ رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه السلام حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دالٌّ على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى : نحمد الله حمداً^(١) .

وجاء في «إرشاد العقل السليم» للعمادي : «الحمد لله : وأصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بأفعالها المضمرّة التي لا تكاد تستعمل معها نحو : شكراً وعجباً كأنه قيل : نحمد الله حمداً . . . وإيثار الرفع على النصب الذي هو الأصل للإيذان بأن ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لإثبات مثبت ، وأن ذلك أمر دائم مستمر لا حادث متجدد . . . وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والثناء أحسن من تحيتهم له في قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَتْ سَلَمٌ ﴾^(٢) .

وجاء في «الكشاف» في قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ [النساء : ٨١] : «بالرفع ، أي : أمرنا وشأننا طاعةً ، ويجوز النصب بمعنى : أطعناك طاعة . . . والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها»^(٣) .

وأما قول بعضهم أن الجملة الاسمية تدل على الثبوت والفعلية تدل على التجدد^(٤) فإنما هو تجوُّزٌ كما يظهر من الأمثلة التي يوردونها ، فإن المقصود بذلك أن الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على التجدد ، فالجملة الاسمية لا تدل على الثبوت إلا إذا كان المسند اسماً ، أما إذا كان فعلاً فلا تفيد ذلك إذ من المعلوم أن قولك : (هو

(١) «الكشاف» (١ / ٣٨ - ٣٩) .

(٢) «إرشاد العقل السليم» - وانظر «الكليات» لأبي البقاء (١٥١) ، «التفسير الكبير» (١ / ٢١٩ - ٢٢٠ ، ١١ / ١٤٤) في الفرق بين (الحمد لله وأحمد الله) .

(٣) «الكشاف» (١ / ٤١١) .

(٤) «الإيضاح» للقرظيني (١ / ٩٩ - ١٠٠) .

يحفظ) جملة اسمية عندهم لأنها مبدوءة باسم ولكنها لا تفيد الثبوت وإنما هو من باب تقديم المسند إليه لغرض من أغراض التقديم كالاهتمام بالمسند إليه أو الحصر أو إزالة الشك ونحو ذلك بخلاف قولك (هو حافظ).

جاء في «الكليات» لأبي البقاء: «والجملة الاسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدد أو استمرار إذا كان خبرها اسماً فقد يقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن. وإذا كان خبرها مضارعاً فقد يفيد استمراراً تجددياً إذا لم يوجد داعٍ إلى الدوام... والجملة الفعلية موضوعة لإحداث الحدث في الماضي أو الحال فتدل على تجدد سابق أو حاضر وقد يستعمل للاستمرار بلا ملاحظة التجدد في مقام خطابي»^(١).



(١) «الكليات» (١٤٠). وانظر (ص ٤٠١).

المصادر

قد يكون للفعل الواحد ولا سيما الفعل الثلاثي مصادر متعددة وذلك كالفعل (لقي) - مثلاً - فمن مصادره لَقِيَ ولَقَاءَ ولُقِيَانٌ وَلَقِيَّ^(١)، ومَكَثَ مَكْثًا ومُكْثًا ومَكُونًا، ووجدَ وَجْدًا ووُجْدًا ووجدَانًا وموجدةً، وصدَّ صَدًّا وصدودًا، وفاضَ فِضًّا وفِضَانًا، وسقى سَقْيًا وسقايةً وغيرها.

إن هذا التعدد يعود إلى سببين رئيسين هما:

١ - اختلاف لغات العرب: فمن المعلوم أن قبائل العرب قد تختلف في استعمال لفظة أو تعبير فقد تستعمل قبيلة مصدرًا لفعل لا تستعمله قبيلة أخرى فمن ذلك ما ذكره سيبويه في الفعل (كتب) فقد ذكر أن مصدره (كتاب) ثم قال: «وبعض العرب يقول (كَتَبًا) على القياس»^(٢) ومن ذلك مصدر الفعل (قُبِحَ) فبعضهم يقول قُبُوحةً وبعضهم يقول قباحةً، وكالفعل (وَسُمَ) فبعضهم يبنون مصدره على وَسَامَةٍ وبعضهم يبنونه على وَسَامٍ^(٣) ومصدر الفعل (بخل) فبعضهم يقول (بُخْلًا) وبعضهم يقول (البَخْل) وبعضهم يقول (البَخَل) كالكرم^(٤).

وهذا مصدر مهم من مصادر التعدد فكلما كثر اختلاف العرب في استعمال

(١) «المزهر» للسيوطي (٢ / ٨٣) ذكر لهذا الفعل عشرة مصادر وذكر أن هذا لا نظير له.

(٢) «سيبويه» (٢ / ٢١٥).

(٣) «سيبويه» (٢ / ٢٢٣).

(٤) «سيبويه» (٢ / ٢٢٥).

المصدر للفعل تَعَدَّد المصدرُ تبعاً لذلك .

وهذا الاختلاف بين القبائل العربية لا يختص بالمصادر فقد يكون في غير المصادر أيضاً وذلك كالتَّهَرَّ والنَّهَر والشَّعَر والشَّعَر^(١) ورَغَوَة اللبن ورَغَوته ورَغَوته ورَغَاوته ورَغَاوته ورَغَايته^(٢) وقد يكون في الجموع نحو: ألسن وألسنة جمع (لسان) فمن أُنْتُ اللسان قال: ألسن كذراع وأذرع، ومن ذكره قال: ألسنة^(٣) كشرع وأشرعة .

وقد يكون في الأفعال فقيسُ تقول - مثلاً - رَضِعَ يَرْضِعُ، وأهل الحجاز يقولون: رَضِعَ يَرْضِعُ^(٤) .

وقد يكون في التعبير فأهل الحجاز يقولون: (ما هذا بشراً) وتميم تقول: (ما هذا بَشَرًا) .

٢ - اختلاف المعنى: وهو سبب مهم في اختلاف المصادر فقد يكون لأحد المصدرين معنى يختص به لا يستعمل له المصدر الآخر أو يكثر استعماله فيه كالصَّغَر والصَّغَارَة - مثلاً - فقد قيل: إن الصَّغَر في الجِرم والصَّغَارَة في القَدَر^(٥) .

وكالضَّرَّ والضَّرُّ فهو بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وقال: ﴿لَا يَلْكُوكَ لَأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦] فالضَّرَّ عام مقابل النفع فرق بين البناءين لافتراق المعنيين^(٦) وكالرُقود والرُقَاد فقد قالوا: إن الرقود بالليل خاصة والرقاد أياً كان^(٧)، وكالكُدرة والكُدورة والكَدَر، فالكُدرة في

(١) «الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري (١٣) .

(٢) «الخصائص» (١ / ٣٧٣) .

(٣) «الكامل» للمبرد (١ / ٧٦) .

(٤) «الكامل» (١ / ٥٢) .

(٥) «المخصص» لابن سيده (١٣ / ٦٨) .

(٦) «الكشاف» (٢ / ٣٣٥)، و«الكامل» (١ / ٢٧٩) .

(٧) «المخصص» (٥ / ١٠٣) .

اللون خاصة كالحمرة والزرقة والخضرة، والكدورة في الماء والعيش، والكدر في كل^(١).

وكالكفر والكفران والكفور، فالكفران أكثر استعمالاً في جحود النعمة، والكفر في الدين، والكفور فيهما جميعاً^(٢) وقد وردت كلمة (الكفر) في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موطناً كلها تدل على الكفر في الدين، ووردت (الكفران) في موطن واحد وهو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، وهي بمعنى الجحود وتقابل الشكر. ووردت كلمة (الكفور) في ثلاثة مواطن في القرآن الكريم تحتل المعنيين وهي قوله تعالى: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ في موطنين^(٣) والثالث هو قوله تعالى: ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩]، فكان الكفور أعم من الكفر والكفران.

وكالهداية والهدى تقول: هديتُ القوم إلى الطريق هدايةً، أي: عرّفتهم إياه، وفي الدين هدى، أي: أرشدتهم وبيّنته لهم^(٤).

ويقال: وجدت في الغضب مَوجدةً، وجدت في الحزن وَجْداً، ووجدت الشيء وَجْدَاناً ووجوداً^(٥).

ونقول: وجب البيع يجب وجوباً وَجِبَةً بالكسر، أي: وقع ولزم وكذلك الحق، ووجبت الشمس وجوباً، أي: غابت، ووجب القلب وجيباً: إذا اضطرب، ووجب الحائط وغيره: إذا سقط وَجِبَةً بفتح الواو وإسكان الجيم^(٦).

(١) «المخصص» (٩ / ١٤٠).

(٢) «الكليات» (٣٠٥)، «ضوابط الفنون» (فصل الكاف).

(٣) «الإسراء»: [٨٩]، «الفرقان»: [٥٠].

(٤) «التلويح في شرح الفصيح» (٢١).

(٥) «أدب الكاتب» (٢٥٧)، «التلويح» (٢٩)، «المزهر» (١ / ٣٣٠).

(٦) «التلويح» (٣٠)، «أدب الكاتب» (٢٥٧).

ويقال: عثر في ثوبه عثاراً وعثر عليهم يعثر عثراً وعثوراً^(١)، ووقعت في العمل وقوعاً ووقعت في الناس وقية^(٢)، وتقول في الأرض السهلة الخوارة: خارت تخور خوراً وخُؤوراً، وفي الإنسان إذا ضعف خار خوراً، وفي الثور: خار خواراً^(٣).

تقول: ضربته ضرباً، وضربها الفحل ضرباً كالنكاح^(٤).

وقد اختصَّ القرآن الكريم قسماً من المصادر بمعنى معين كالصوم والصيام، فقد اختص كلمة (الصوم) بمعنى الصمت قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ [مريم: ٢٦]، ولم ترد كلمة الصوم في القرآن في غير هذا الموطن. وكأنها لما كانت بمعنى الصمت جيء بها على وزنه وخصها الله به. وأما (الصيام) فقد وردت في تسعة مواطن من القرآن الكريم كلها بمعنى العبادة المعروفة.

وهناك مصادر لها معانٍ عامة بحسب أوزانها فقد يكون للوزن معنى يخصه فيتغير معنى المصدر عند الوزن كالسقي والسقاية، والإباء بالكسر والأبء بالضم، والمعرفة والعرافة، والفيض والفيضان، كما سنذكر ذلك.

وأشهر هذه الأوزان هي:

١ - فَعْل وفُْعول:

قياس مصدر الفعل المتعدي الثلاثي (فَعْل) كضرب ضرباً وأكل أكلًا وفهم فهمًا، ما لم يكن حرفه فإنه يكون على (فِعالَة) كسقى سَقِيًّا وسَقاية، وحجب حجباً وحجابه. وأما الفعل اللازم من (فَعْل) فقياس مصدره على (فُْعول) كجلس جُلوساً وقعد قعوداً^(٥).

(١) «أدب الكاتب» (٢٥٧).

(٢) «أدب الكاتب» (٢٥٨).

(٣) «المزهر» (١ / ٣٣٠).

(٤) «سبويه» (٢ / ٢١٦).

(٥) «سبويه» (٢ / ٢١٦)، «الآشمونى» (٢ / ٣٠٤).

قال تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كَيْدٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِآيِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال: ﴿فَيُظَاهِرُ مِنَ الذِّينِ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَيَصَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]، فاستعمل المصدر (صدأ) لما كان فعله متعدياً أي: يصدون غيرهم.

وقال في موطن آخر: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، فاستعمل المصدر (صدوداً) لما لم يكن متعدياً فالأول بمعنى المنع والثاني بمعنى الإعراض.

والعرب تقول: وقفت بالمكان وقوفاً، أي خلاف الجلوس ولكنها تقول: وقفت الدابة وقفاً^(١).

هذا هو الغالب وقد جاء السماع بغير ذلك في قسم من المصادر نحو: لَزِمَهُ لَزُومًا وورده وروداً وحدثه جحوداً^(٢).

٢ - فعالة:

ما دلَّ على حرفة أو ولاية فقياسه الفعالة بكسر الفاء^(٣) كالحياسة والخيطة. قال سيبويه: «وأما الوكالة والوصاية والجراية ونحوهن فإنما شبهن بالولاية لأن معانهن القيام بالشيء وعليه الخلافة والإمارة والنكابة^(٤) والعراقة وإنما أردت أن تخبر بالولاية. ومثل ذلك الإبالة والعياسة والسياسة...»

وقالوا: «التجارة والخيطة والقصابة وإنما أرادوا أن يخبروا بالصناعة التي تليها فصار بمنزلة الوكالة وكذلك السعاية إنما أخبر بولايته كأنه جعله الأمر

(١) «لسان العرب» (١١ / ٢٧٥) (وقف).

(٢) «سيبويه» (٢ / ٢١٤ - ٢١٥).

(٣) «التصريح» (٢ / ٧٤)، «الصبان» (٢ / ٣٠٤).

(٤) النكابة: من المنكب والمنكب الذي في يده اثنتا عشرة عراقة (السيرافي بهامش سيبويه ٢ / ٢١٧).

الذي يقوم به»^(١).

وقال ابن قتيبة: «وفعالة تأتي كثيراً في الصناعات والولايات كالقِصارة والجرّاية . . . والخلافة والسعاية . . .

والصناعة إنما هي بمنزلة الولاية للشيء والقيام به فلذلك جمع بينهما في البناء»^(٢).

قال أبو هلال العسكري: «إن الفعالة للاشتغال مثل العِصابة والعمامة والقلادة ولذلك جاء أكثر الصناعات على فعالة نحو: القصارة والخياطة ومثل ذلك العبارة لاشتغالها على ما فيها . . . والفعالة أيضاً تكون للاستيلاء مثل الخلافة والإمارة»^(٣).

فالعرب تجعل (الكتاب) مثلاً مصدراً للفعل (كتب) فإذا أرادت الصناعة تقول: (الكتابة) جاء في (لسان العرب): «والكتابُ مصدر والكتابة لمن تكون له صناعةٌ مثل الصياغة والحياكة»^(٤).

وتقول: صبغت الثوب صبغاً فإذا أردت الصنعة قلت: الصباغة، وتقول: حجب الشيء يحجبه حَجْباً وحجاباً، أي: ستره ومنعه، فإذا أرادوا الولاية قلت: الحجابة، ومنه حِجَابَةُ الكعبة وهي سدانتها وتولّى حِفْظَهَا^(٥).

وتقول: السقي مصدر الفعل (سقى) فإذا أردت الولاية قلت: السقاية، ومنه سقاية الحاج قال تعالى: ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٩]، و«سقاية الحاج سقيهم الشراب . . . وكان يليها العباس بن عبد المطلب في الجاهلية والإسلام»^(٦).

(١) «سبويه» (٢ / ٢١٦ - ٢١٧).

(٢) «أدب الكاتب» (٤٧١).

(٣) «الفروق اللغوية» (٧٣)، وانظر «الكلّيات» (٣٩٦ - ٣٩٧).

(٤) «لسان العرب» (٢ / ٩٢) (كتب).

(٥) «لسان العرب» (١ / ٢٨٩) (حجب).

(٦) «لسان العرب» (١٩ / ١١٤) (سقى).

ومنه المعرفة مصدر الفعل (عرف) فإذا أردت الولاية قلت: العِرافة «وعرفَ على القوم عِرافة: إذا تكلم عليهم»^(١).

ومنه السعي مصدر الفعل (سعى) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَى﴾ [الصفات: ١٠٢]، فإذا أردت الولاية قلت: السعاية. قال سيبويه: «وكذلك السعاية إنما أخبر بولايته كأنه جعل الأمر الذي يقوم به»^(٢).

٣- فُعال:

ما دلَّ على داء أو صوت فقياسه على (فُعال) بضم الفاء: كسُعال وزُكام وصُراخ ورُغاء^(٣). تقول: (البكى) إذا أردت الدموع. وأما البكاء فهو الصوت الذي يكون معه^(٤).

جاء في «التفسير الكبير» للفخر الرازي: «والفُعال في أكثر الأمور يدل على مكروهٍ أو منكر، أما في المعاني فكالسُّبات والفُواق والزُّكام والدُّوار والصُّداع لأمراض وآفات في الناس والنبات. وأما في الأعيان فكالجذاذ والحُطام والفُتات وكذا إذا لحقته الهاء كالبرادة والسُّحالة»^(٥).

وجاء في «ديوان الأدب» للفارابي: «فُعال للأدواء والأصوات وما تحطمَ من شيء وتكسَّر منه نحو: حُطام ودُقاق»^(٦).

وقال ابن قتيبة: «قالوا: والأدواء إذا كانت على فُعال أتت بضم الفاء بمثل القُلاب والصُّفار والصُّداع والكباد والبُوال والعُطاش والهيام. يقال: عَطِشَ عَطْشًا، وإذا كان

(١) «التصريح» (٢ / ٧٤)، وانظر «سيبويه» (٢ / ٢١٧).

(٢) «سيبويه» (٢ / ٢١٧).

(٣) «الأشْموني» (٢ / ٣٠٥).

(٤) «لسان العرب» (١٨ / ٨٨) (بكى).

(٥) «التفسير الكبير» (ج ٢٩ / ١٨٣).

(٦) «ديوان الأدب» (١ / ٨٥).

العطش يعتريه كثيراً قالوا: به عطاش. وتقول: قاء يقيء قيئاً، فإذا كان القيء يعتريه كثيراً قالوا: به قيء. وتقول: فلان يقوم قياماً كثيراً إذا أردت أنه يختلف إلى المتوضأ، فإن أردت اسم ما به قلت: به قوام.

وقد تأتي الأدوية على غير (فعال) قالوا: الحَبَط والغَدَّة والحَبِيج^(١) والرمَد والوجَع.

ويقال: الإِبَاء بالكسر مصدرٌ للفعل (أبى) فإذا قلت: أخذه أَباءً على (فُعال) بالضم إذا جعل يأبى الطعام^(٢).

ويقال: مشى الرجل مشياً، ومشى بطنه مُشَاءً^(٣): إذا كان داء.

وتقول: سكت يسكت سكتاً وسكوتاً (وأما السُّكَات فهو داء)^(٤).

والصفرة من الألوان معروفة، وأما الصُّفَار فهو داء في البطن^(٥).

وتقول: دار الشيء يدور دَوْرًا ودَوْرَانًا ودَوَّارًا، وأما الدُّوَار فهو يأخذ بالرأس^(٦).

وجاء في «المخصص»: «ويكثر فُعال في الأدوية كقولنا: السُّكَات والبُوال والدوار والعطاس... ويجيء فُعال فيما كان نحو الرقاق والحطام والجذاذ والفضاض والفتات والرفات وهو مصدر على مفعول.

قال أبو علي: وبالجمله الغالبة فكلُّ ما كان مستطيراً أو مُرْفَضاً أو متقطعاً من شيء، وبالجمله التي هي أعلى طبقة من هذه في باب الجنسية والاستحقاق لاسم العموم فإن (الفعال) يكون على الأجزاء المُتَّسعة من البناء^(٧).

(١) «أدب الكاتب» (٤٦٩).

(٢) «الصاحح» للجوهري (أبا) (٦ / ٢٢٦).

(٣) «الآشمونى» (٢ / ٣٠٥).

(٤) «سبويه» (٢ / ٢١٦).

(٥) انظر «لسان العرب» (٦ / ١٣٠ - ١٣١) (صفر).

(٦) انظر «لسان العرب» (٥ / ٣٨١ - ٣٨٢) (دور).

(٧) «المخصص» (١٤ / ١٣٥).

وجاء في «معاني القرآن» للفراء: «كل مصدر اجتمع بعضه إلى بعض مثل القماش والدقاق والغناء والحطام فهو مصدر ويكون في مذهب اسم على هذا المعنى»^(١).

وواضح أن نحو جذاذ وفتات وحطام ليس مصدراً وإنما هو اسم لها بمعنى المفعول جاء في (شرح الرضي على الشافية): «ويجيء (فُعال) من غير المصادر بمعنى المفعول كالدقاق والحطام والفتات والرفات. والفُعالة للشيء القليل المفصول من الشيء الكثير كالقلامة والقُراضة والنُقاوة والنُفاية»^(٢).

٤ - فعيل :

وهو للدلالة على صوت أو سيرٍ كالصهيل والهدير والهرير والرحيل^(٣) والذميل . وقد مر بنا أن الصوت يكون أيضاً على (فُعال) كالدعاء والرغاء والثغاء، «ومما اجتمع فيه فعيل وفعال شَحِيحُ البغل وشُحاجه، ونهيق الحمار ونُهاقه وسحيله وسُحاله، ونبيح الكلب ونُباحه، وضغيب الأرنب وضُغابها، والأنين والأنان، والزحير والزحار. وفعيل وفعال أختان في هذا كما اتفقتا في الوصف كقولك: «طويل وطُوال وخفيف وخُفاف»^(٤).

وإذا اتفق أن يكون للصوت وزنان: فعيل وفعال فالذي يبدو أن (فعالاً) أبلغ من (فعيل) وأقوى وذلك لأن مدة الألف أطول من مدة الياء، وإن فتح القم بالألف أوسع من فتحه بالياء. ونظير ذلك في الصفات فعيل وفُعال كطويل وطُوال، فمن المعلوم أن (فعالاً) أبلغ من (فعيل) في الوصف فطُوال أبلغ من طويل، وعُراض أبلغ من عريض، وشجاع أبلغ من شجيع، وكُرام أبلغ من كريم، وكذلك القياس في المصدر لأن الوزنين متفقان.

(١) «معاني القرآن» (٢ / ٦٢).

(٢) «شرح الرضي على الشافية» (١ / ١٥٥).

(٣) «الآشُمُونِي» (٢ / ٣٠٤)، «أدب الكاتب» (٤٧٠).

(٤) «المخصص» (١٤ / ١٣٥).

٥ - فعال :

وَيَصَاحُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى امْتِنَاعِ كَأْبَى إِبَاءٍ وَشُرْدٍ شَرَادًا^(١). قَالَ سَبْيُوهِ : « وَمَا تَقَارِبَتْ مَعَانِيهِ فَجَاؤُوا بِهِ عَلَى مِثَالِ وَاحِدٍ نَحْوُ : الْفِرَارِ وَالشَّرَادِ وَالشَّمَّاسِ وَالنَّقَّارِ وَالطَّمَّاحِ وَهَذَا كُلُّهُ مِبَاعِدَةٌ وَالضَّرَّاحُ : إِذَا رَمَحَتْ بَرَجْلُهَا يُقَالُ : رَمَحَتْ وَضَرَحَتْ فَقَالُوا : الضَّرَّاحُ شَبْهُهُ بِذَلِكَ . وَقَالُوا : الشَّبَابُ شَبْهُهُ بِالشَّمَّاسِ . . . وَقَالُوا : الْخِلَاءُ وَالْحِرَانُ ، وَالْخِلَاءُ مُصْدَرٌ مِنْ خَلَّاتِ النَّاقَةِ أَيْ : حَرَنْتَ ، وَقَدْ قَالُوا : خِلَاءٌ لِأَنَّ هَذَا فَرْقٌ وَتَبَاعُدٌ ، وَالْعَرَبُ مِمَّا يَبْنُونَ الْأَشْيَاءَ إِذَا تَقَارَبَتْ عَلَى بِنَاءٍ وَاحِدٍ وَمِنْ كَلَامِهِمْ أَنَّ يَدْخُلُوا فِي تِلْكَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ ذَلِكَ الْبِنَاءِ وَذَلِكَ نَحْوُ : الْفُورِ وَالشُّبُوبِ وَالشَّبِّ . . . وَقَالُوا : الْعِضَاضُ شَبْهُهُ بِالْحِرَانِ وَالشَّبَابِ وَلَمْ يَرِيدُوا بِهِ الْمَصْدَرُ مِنْ فَعَلْتَهُ فَعَلًا^(٢) .

وَيَصَاحُ هَذَا الْوِزْنَ أَيْضًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُرْبِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ كَالصَّرَافِ وَالضَّرَّابِ وَالنَّكَاحِ .

قَالَ سَبْيُوهِ : « وَقَالُوا فِي أَشْيَاءٍ قُرْبَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ فَجَاؤُوا بِهِ عَلَى فِعَالٍ وَذَلِكَ نَحْوُ الصَّرَافِ فِي الشَّاةِ لِأَنَّهُ هِيَاجٌ فَتَشَبَّهُ بِهِ . . . وَمِثْلُهُ : الْهَبَابُ وَالْقِرَاعُ لِأَنَّهُ يُهَيَّجُ فَيُذَكَّرُ^(٣) .

وَيَجَاءُ بِالْمَصْدَرِ عَلَى هَذَا الْوِزْنَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْحِينُونَةِ كَالصَّرَامِ وَالْجِرَازِ .

قَالَ سَبْيُوهِ : « وَجَاؤُوا بِالْمَصَادِرِ حِينَ أَرَادُوا انْتِهَاءَ الزَّمَانِ عَلَى مِثَالِ فِعَالٍ وَذَلِكَ الصَّرَامُ وَالْجِرَازُ وَالْجِدَادُ وَالْقِطَاعُ وَالْحِصَادُ ، وَرَبَّمَا دَخَلَتْ اللَّغَةُ فِي بَعْضِ هَذَا فَكَانَ فِيهِ فِعَالٌ وَفَعَالٌ ، فَإِذَا أَرَادُوا الْفِعْلَ عَلَى فَعَلْتُمْ قَالُوا : حَصَدْتَهُ حَصْدًا وَقَطَعْتَهُ قِطْعًا إِنَّمَا تَرِيدُ الْعَمَلَ لَا انْتِهَاءَ الْغَايَةِ وَكَذَلِكَ الْجَزْ وَنَحْوُهُ^(٤) .

(١) «التصريح» (٢ / ٧٣) ، «الأشْمُونِي» (٢ / ٣٠٤) .

(٢) «سبْيُوهِ» (٢ / ٢١٧) .

(٣) «سبْيُوهِ» (٢ / ٢١٧) .

(٤) «سبْيُوهِ» (٢ / ٢١٧) ، وانظر «أدب الكاتب» (٤٧٢) ، «الرضي على الشافعية» (١ / ١٥٣ - ١٥٤) .

والفِعَال يكون أيضاً بناءً لأَسْمَاءِ الوَسْمِ.

جاء في الكتاب: «وأما الوسم فإنه يجيء على فِعَال نحو: الجِبَاط والعِلَاط والعِرَاض والجِنَاب والكِشَاح فالأثر يكون على فِعَال والعمل يكون فَعَلًا كقولهم: وسمت وسمًا وخبطت البعير خبطًا وكشحته كشحًا»^(١).

وجاء في «ديوان الأدب» أن فِعَلًا يكون بناءً لأَسْمَاءِ الوَسْمِ نحو: العِلَاط والكِشَاح^(٢).

وجاء في «شرح الرضي على الشافية»: «والفِعَال بالكسر غالبٌ في السَّمَات أيضاً كالعِلَاط والعِرَاض لوسمٍ على العنق، والجَنَاب على الجنب، والكِشَاح على الكِشَح»^(٣).

٦ - فَعَلَان (بفتح الفاء والعين):

ويصاغ للدلالة على التقلب والاضطراب والحركة كالجَوْلَان والغَلَيَان^(٤).

قال سيبويه: «ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: التَزَوَان والتَقَرَّان والقَفَزَان وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازة في ارتفاع ومثله: العَسَلَان . . . وقد جاء على (فُعَال) نحو: الثَّرَاء والقُمَاص كما جاء عليه الصوت نحو: الصُّرَاح والنباح لأن الصوت قد تكلف فيه من نفسه ما تكلف من نفسه في التزوان ونحوه . . .

ومثل هذا الغليان لأنه زعزعةٌ وتحرك، ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه وتثور . . . ومثل ذلك اللهبان والضمندان والوهجان لأنه تحركُ الحرِّ وتَوَوُّره فإنما هو بمنزلة

(١) «سيبويه» (٢ / ٢١٧).

(٢) «ديوان الأدب» (١ / ٨٦).

(٣) «الرضي على الشافية» (١ / ١٥٤).

(٤) «الأشموني» (٢ / ٣٠٥)، «التصريح» (٢ / ٧٣).

الغليان»^(١) «فقابلوا بتوالي حركات المثلالي حركات الأفعال»^(٢).

فأنت تقول: غليْتُ الماءَ غَلِيًّا، وغلَى الماءُ غَلِيًّا إن أردتَ الفِعْلَ ولم تُرِدْ التَّغْلِبَ والحركة قال تعالى: ﴿كَأَلَمْهَلٍ يُعَلَى فِي الْبُطُونِ * كَعَلَى الْحَمِيرِ﴾ [الدخان: ٤٥-٤٦] فإن أردتَ الحركة والاضطراب قلت: غلى الماء غلياناً.

وتقول: أعطاه غيضاً من فيض، أي: قليلاً من كثير^(٣) فلما لم يكن فيه دلالة على حركة واضطراب قلت (فيضاً) فإن أردت الدلالة على الحركة والاضطراب قلت: فاض النهر فيضاناً.

وتقول: حيَّ الرجل حياة طيبة، والحياة مصدر للفعل (حيّ) وهي نقيض الموت، فإن أردت الحركة والاضطراب قلت: الحيوان، قال تعالى: ﴿وَلَيْتَ الْدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، لما أراد فيها معنى الحركة والتقلب وأن الدنيا بالنسبة للحياة الآخرة كأنها سكونٌ وهُمود بناها على فعلانٍ للدلالة على كمال الحياة ثم.

٧- تفعّال (بفتح التاء):

ويكون للتكثير والمبالغة كالتَّجَوال والتَّهْدَار والتَّلْعَاب «وليس شيء من هذا مصدر فعّلت، ولكن لما أردت التكثير بنيت المصدر على هذا كما بنيت فعلت على فعّلت»^(٤).

قال سيبويه: «وأما التبيان - يعني بالكسر - فليس على شيء من الفعل لحقته الزيادة ولكنه بني هذا البناء فلحقته الزيادة... وليس من باب التّقتال، ولو كان أصلها من ذلك فتحوا التاء فإنما هي من بيّنت كالغارة من (أغرت)... ونظيرها التلقاء وإنما

(١) «سيبويه» (٢ / ٢١٨).

(٢) «الخصائص» (٢ / ١٥٢).

(٣) «لسان العرب» (٩ / ٧٦) (فيض).

(٤) «سيبويه» (٢ / ٢٤٥).

يريدون اللقيان»^(١).

أي: لا يُراد بالتيبان والتلقاء المبالغة ولو أرادوا ذلك لفتحوا التاء^(٢).

جاء في «الكليات» لأبي البقاء: «والمصدر من الثلاثي المجرد للمبالغة قياسه فتحُ التاء كالتَّعداد والتَّهاداد... وليس بمصدر المبالغة كالتكرار والتذكار»^(٣).

يريد أنه مصدر (فعل) الثلاثي وليس بمصدر (فعل) المضاعف الذي يفيد المبالغة.

٨ - فَعِيلِي (بكسر الفاء والعين المشددة):

وهو للدلالة على الكثرة، قال سيويه: «وأما الفَعِيلِي فتجيء على وجه آخر تقول: (كان بينهم رمياً) فليس يريد قوله (رَمِيّاً) ولكنه يريد ما كان بينهم من الترامي وكثرة الرمي ولا يكون من واحد.

وأما الدَّلِيلِي فإنما يراد به كثرة علمه بالدلالة ورسوخه فيها، وكذلك القَتْنَتِي والهَجْبَرِي كثرة القول والكلام بالشيء، والخَلِيفِي كثرة تشاغله بالخلافة وامتداد أيامه فيها»^(٤).

وهناك مصادر أخرى كالفُعْلَة للألوان نحو: الحُمْرة والصفرة والكُدرة «وقالوا البياض والسواد كما قالوا الصباح والمساء لأنهما لونان بمنزلة لهما لأن المساء سواد والصباح وضَح»^(٥).

و(فَعِل) بكسر الفاء وفتح العين للدلالة على المساحة في الغالب، جاء في

(١) «سيويه» (٢ / ٢٤٥).

(٢) «الرضي على الشافية» (١ / ١٦٧).

(٣) «الكليات» (٣٢٦).

(٤) «سيويه» (٢ / ٢٢٨).

(٥) «سيويه» (٢ / ٢٢٢).

(التطور النحوي): «وَفَعَلَ فِي فَعُلٍ لِلْمَسَاحَةِ نَحْوَ كَبَرَ وَصَغَرَ»^(١).

فَالْكِبَرُ بِكسر الكاف وسكون الباء معناه: الكبرياء أو التكبر، قال تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْفِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، وأما الْكِبَرُ فهو الْكِبَرُ الجسمي قال تعالى: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، ومثله: الصَّغَرُ فهو يكون في الجسم، وأما الصُّغَرُ والصَّغَارُ فهو معنوي ومعناه: الذل. ومثله: الْغَلَطُ وَالْغِلْطَةُ، فالْغِلْطُ في الجسم وَالْغِلْطَةُ معنوية قال تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْطَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، ومثله: الْقِصَرُ وَالْعِرَاضُ وَالثَّقَلُ وَالضَّخَمُ وَالْعِظَمُ، فالْعِظَمُ في الجسم والمنظر، أما الْعِظَمَةُ فمعنوية في الغالب.

إلى غير ذلك من المصادر المسموعة والمقيسة وما مر أشهرها.

(١) «التطور النحوي» (٦٦).

المصدر الميمي

يصاغ هذا المصدر من الفعل الثلاثي على وزن (مَفْعَل) بفتح الميم والعين نحو: مَقْدَمٌ وَمَنْصَرٌ وَمَأْبٌ إِلاَّ إذا كان مثلاً صحيح اللام تحذف فاؤه في المضارع فإنه يصاغ على (مَفْعِل) بكسر العين نحو: مَوْعِدٌ وَمَوْرِدٌ. وشذت ألفاظ منها: المزيد والمرجع والمصير والمسير وقياسها فتح العين. أما من غير الثلاثي فإنه يصاغ على زنة اسم المفعول كالمنطلق والمستخرج والمنقلب.

والنحاة يرون أن معنى المصدر الميمي لا يختلف عن المصادر الأخرى^(١) غير أن الذي يبدو لي أن هذا المصدر لا يطابق المصدر الآخر في المعنى تماماً وإلاَّ فما اختلفت صيغته، فالمصير مثلاً لا يطابق الصيرورة، والمرجع لا يطابق الرجوع أو الرجع، والمفرّ ليس معناه الفرار تماماً، والمساق لا يطابق السّوق.

إن المصدر الميمي في الغالب يحمل معه عنصر «الذات» بخلاف المصدر غير الميمي فإنه حدثٌ مجرد من كل شيء فقوله تعالى: ﴿وَلِئَلَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨]، لا يطابق «إليّ الصيرورة» فإنّ المصير يحمل معه عنصراً مادياً، وإن كلمة (منقلب) في قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، لا تطابق (انقلاب) في المعنى، فالانقلاب حدث مجرد والمنقلب يحمل معه ذاتاً، والمساق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٣٠] يختلف عن قولنا (إليه السّوق) فإن (المساق) يحمل معه ذاتاً تساق بخلاف السّوق الذي يدل على فعل السوق مجرداً وكذلك الحياة

(١) انظر «سيبويه» (٢ / ٢٤٦ - ٢٤٧).

والمحيا والموت والممات والنوم والنام.

فالمصدر غير الميمي حدث غير متلبس بشيء آخر أما المصدر الميمي فإنه مصدر متلبس بذات في الغالب.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية إن المصدر الميمي في كثير من التعبيرات يحمل معنى لا يحمله المصدر غير الميمي.

فإن (المصير) مثلاً يعني نهاية الأمر بخلاف الصيرورة، قال تعالى: ﴿وَلِكِ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨]، وقال: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، أي: منتهى أمركم، وتقول: (مصير الخشب رماد) أي: نهاية أمره ولا تقول: (صيرورة الخشب رماد) للمعنى نفسه.

وتقول: (صيرورة الذهب خاتماً أمرٌ سهل) وتقول: (يعجبني صيرورتك رجلاً) ولا تقول: (مصيرك رجلاً) فالمصير معناه نهاية الأمر بخلاف الصيرورة.

ومثله (المآب) و(الإياب) فإن المآب يعني نهاية الأوب، وأما الإياب فإنه الرجوع ولا يعني منتهى الأوب قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٦].

ومثله المنقلب والانقلاب فإن المنقلب يعني خاتمة الأمر وعاقبته أما الانقلاب فإنه يعني التغير المعاكس قال تعالى: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] أي: عاقبة ومصيراً، وقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، أي: عاقبة أمرهم ونهايتهم. وأنت ترى أنه لا يحسن ههنا وضع (الانقلاب) موضع (المنقلب).

ومثله قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمِ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٣٠]، أي: منتهى علمهم أو مقدار علمهم.

ومثله النهاية والمنتهى تقول: (هذه نهايتك) و(هذا انتهاك) فنهايتك تعني فناءك بخلاف انتهاك فإنها تعني مصيرك لا فناءك أي: نهاية ما بلغت إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ

إِلَى رَبِّكَ أَلْمُنَّهِ ﴿ [النجم : ٤٣] .

وقد أحس الراغب الأصفهاني بمغايرة المصدر الميمي للمصدر في بعض المصادر ففرّق بين التوبة والمتاب فذكر أن معنى المتاب يعني التوبة التامة «وهو الجمع بين ترك القبيح وتحريّ الجميل ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴾ [الرعد : ٣٠]»^(١) فكانه أراد الغاية في التوبة أو منتهاها .

ثم الملاحظ أن العرب لا تتوسع في استعمال المصادر الميمية ما تتوسعه في المصادر الأخرى، فإنها أي العرب لا توقع المصدر الميمي حالاً في الغالب فهي تقول: (أقبل زحفاً) ولا تقول (مزحفاً)، و(جاء سعياً) ولا تقول (جاء مسعى)، وتقول (جاء طوعاً) ولا تقول (جاء مطاعاً)، فإنها تفرق بينهما في الاستعمال .

وكذلك يبدو هذا الأمر في المفعول له فإن الكثير فيه أن لا يكون ميمياً تقول: (فعلتُ هذا رأفةً بك) ولا تقول (مرأفاً بك)، وتقول: (قتله خشية الوشاية عليه) ولا تقول (مخشى الوشاية) .

فدل ذلك على أن هذين المصدرين متغايران وليسا متطابقين والله أعلم .

(١) «مفردات الراغب» (٧٦) .

اسم المرة والهيئة

استعملوا (فَعَلَة) للمرة من الثلاثي كقولهم: قعدت قَعْدَة وأتيت أْتِيَة، وربما جاؤوا بها على المصدر مضافاً إليه تاء الوحدة نحو: أعطى إعطاءً، واستدرج استدراجة^(١).

ويؤتى للهيئة بـ (فَعَلَة) كَفِثْلَة سوء^(٢) و«كقولنا: فلان حسنُ الرِّكْبَة والجلِسة يراد بذلك أنه متى ركب كان ركوبه حسناً وإذا جلس كان جلوسه حسناً في أوقات ركوبه وجلوسه وإن ذلك عادته في الركوب والجلوس، وحسنُ الطَّعْمَة أي ذلك فيه موجود لا يفارقه»^(٣).

وقد يكون كل من فَعَلَة وفَعْلَة مصدراً كسائر المصادر كالرحمة والشدة.

وهذان الوزنان أعني فَعْلَة مراداً به المرة وفَعْلَة مراداً به الهيئة لا «يوجد نظيرهما في كل اللغات السامية»^(٤).

المفعلة:

تجيء «المفعلة لسبب الفعل كقوله عليه الصلاة والسلام: (الولدُ مَبْخَلَة مَجْبِيَة

(١) «سيبويه» (٢ / ٢٢٩ - ٢٣٠).

(٢) «سيبويه» (٢ / ٢٢٩).

(٣) «المخصص» (١٤ / ١٥٨). وانظر «شرح الرضي على الشافية» (١ / ١٨٠ - ١٨١).

(٤) «التطور النحوي» (٦٧).

مَحْزَنَةٌ»^(١) ومنه قولهم: (تركُ العشاءَ مَهْرَمَةً) أي: مدعاة إلى الهرم.

وقيل: بل تأتي لسبب كثرة الفعل فقوله: (الولد مجبنة مبخله) يدل على سبب كثرة الجبن والبخل^(٢).

التفعلة:

وتجيء لما يؤدي إلى الشيء كالتهلكة وهي «ما يؤدي إلى الهلاك»^(٣) وكالتبصرة وهي ما يؤدي إلى الإبصار، والتذكرة ما يؤدي إلى التذكر، واللّه أعلم.

الفَعْلَة والفُعْلَة:

وقد جاء لموضع الفعل الفَعْلَة والفُعْلَة كالفُطْعَة والفُقْطَة وهما مكان القطع من الأعضاء. جاء في «كتاب سيبويه»: «وقد يقال أيضاً لموضع القطع الفُطْعَة والفُقْطَة والجُذْمَة والجَذْمَة والصلّة والصلّة للموضع»^(٤).

وجاء في «ديوان الأدب» أن الفَعْلَة «اسم للعاهة إذا كان النعت منها على أفعل نحو قولك: ضربة بَقَطْعَتِه، وهي الشَتْرَة»^(٥).

وجاء في «شرح الرضي على الشافية»: «وقد جاء الفُعْلَة والفَعْلَة لموضع الفعل في الأعضاء كثيراً كالفُطْعَة والفُقْطَة لموضع القطع، وكذا الجُذْمَة والجَذْمَة، والصلّة والصلّة، والنزعة والنزعة.

ويكون الفُعْلَة بضم الفاء وسكون العين للفضلة أيضاً كالقُلْفَة والغُرْلَة»^(٦).

(١) «الرضي على الشافية» (١ / ١٦٢).

(٢) «حاشية الصبان» (٢ / ٣١٢).

(٣) «مفردات الراغب» (٥٤٥).

(٤) «سيبويه» (٢ / ٢٢٣).

(٥) «ديوان الأدب» (١ / ٨٠).

(٦) «الرضي على الشافية» (١ / ١٦١).

أسماء المكان والزمان

اسم المكان هو مكان وقوع الفعل ، واسم الزمان هو زمان وقوعه نحو : مضرب ومجلس أي : مكان الضرب والجلوس أو زمانهما .

يصاغ اسم الزمان والمكان من الفعل الثلاثي المضموم العين في المضارع والمفتوح العين على زنة (مَفْعَل) بفتح الميم والعين نحو : مَنَصْر ومَقْتَل ومركب ، وكذلك من الفعل المعتل الآخر مطلقاً نحو : مرمى ومجرى .

ويصاغ من الفعل الثلاثي المكسور العين في المضارع والمثال الواوي الذي يحذف فاؤه في المضارع على زنة (مَفْعَل) بكسر العين نحو : مجلس وموعد إلا إذا كان معتل الآخر فإنه يصاغ على (مَفْعَل) كما ذكرنا .

أما من غير الثلاثي فيصاغ على زنة اسم المفعول كالمنطلق والمستخرج .

وشدّت ألفاظ نحو : المسجد والمشرق والمغرب والمرفق وهو موصل الذراع والعضد ، والمنبت والمنخر بالكسر وقياسها فتح العين .
وجاء المِطْبَخ والمِرْبِد بكسر الميم .

وجاءت المزرعة والمقبرة والمشرقة والمشرية والمسربة .

الألفاظ الخارجة عن القياس :

ذكرنا أن هناك ألفاظاً شذت عن القياس كالمسجد والمغرب والمشرق والمِطْبَخ والمِرْبِد . وقد ذهب كثير من النحاة إلى أن هذا التغيير له سبب دعا إليه ولو أريد اسم

المكان مطلقاً لم يتغير البناء . فالمسجد بكسر الجيم مثلاً اسمٌ لبيت مخصوص يكون فيه السجود ولستَ تريدُ به موضع جبهتك على الأرض ولو أردتَ ذلك لقلتَ : مسجِد بفتح الجيم على القياس^(١) .

جاء في «شرح الرضي على الشافية» : «قال سيويه : لم تذهب بالمسجد مذهب الفعل ولكنك جعلته اسماً لبيت . يعني أنك أخرجته عما يكون عليه اسم الموضع ، وذلك لأنك تقول : (المَقْتَل) في كل موضع يقع فيه القتل ، ولا تقصد به مكاناً دون مكان ، ولا كذلك المسجد فإنك جعلته اسماً لما يقع فيه السجود بشرط أن يكون مبنياً على هيئة مخصوصة ، فلم يكن مبنياً على الفعل المضارع كما في سائر أسماء المواضع ، وذلك أن مطلق الفعل لا اختصاص فيه بموضع دون موضع . قيل : ولو أردتَ موضع السجود وموقع الجبهة من الأرض سواء كان في المسجد أو غيره فتحت العينَ لكونه إذن مبنياً على الفعل بكونه مطلقاً كالفعل»^(٢) ومثله (المنسك) إذ هو مكان نُسكٍ مخصوص^(٣) ، ولو أردتَ مكان النسك عموماً لقلت (منسك) بفتح السين ، وكذا المَفْرِقُ لأنه مفرق الطريق أو الرأس^(٤) ولو أريد مكان الفرق عموماً لقل (مفرق) «وكذا المنخر صار اسماً لثقب الأنف ولا يقصد به معنى النخر»^(٥) ولو قصد ذلك لقل منخر بفتح الخاء .

ونحو هذا : المطبخ والمريد بكسر الميم فيهما فالمِطْبَخ بيت تُطبخ فيه الأشياء وليس مكان الطبخ عموماً ، وكذا المريد وهو موضع مخصوص تُحبس فيه الإبل ، ولو أريد مكان الطبخ عموماً لقل (مَطْبَخ) بفتح الميم ، وكذا لو أريد مكان حبس الإبل عموماً لقل بفتح الميم ، فهذه أبنية «تقع اسماً للتي ذكرنا من هذه الفصول لا لمصدر

(١) انظر «سيويه» (٢ / ٢٤٨) .

(٢) «شرح الرضي على الشافية» (١ / ١٨٤) . وانظر «سيويه» (٢ / ٢٤٨) .

(٣) انظر «الرضي على الشافية» (١ / ١٨٤) .

(٤) انظر «الرضي على الشافية» (١ / ١٨٤) .

(٥) «الرضي على الشافية» (١ / ١٨٤) .

ولا لموضع العمل»^(١).

جاء في «شرح الرضي على الشافية»: «قال سيبويه: وكذا المطبخ والمربد بكسر الميم فيهما اسمان لموضعين خاصين لا لموضع الطبخ مطلقاً ولا لكل موضع الربود أي: الإقامة؛ بل المطبخ بيت يطبخ فيه الأشياء معمول له، والمربد محبس الإبل أو موضع يجعل فيه التمر.

ويجوز أن يقال في المرفق بكسر الميم في المعنيين: إن أصله لموضع فلما اختص غُيِّرَ بكسر الميم عن وضع الفعل كما قال سيبويه في المطبخ والمربد»^(٢).

وكذا ما دخلته التاء نحو: المقبرة والمزرعة والمدرسة والمشربة فإن هذه تطلق على أماكن مخصوصة ولا يراد بها موضع الفعل عموماً فالمقبرة مكان مخصوص وليست اسماً لكل مكان يقبر فيه أي: يدفن «إذ لا يقال لمدفن شخص واحد مقبرة»^(٣) ولو أريد ذلك لقليل (مَقْبَر) على القياس فإن موضع الفعل يجري على القياس^(٤).

وكذا المزرعة فهي اسم لمكان مخصوص إذ لا يقال لموضع زرع نبتة واحدة مزرعة بل يقال (مزرَع) على القياس. ونحوه: المدرسة فإنها بناية مخصوصة لهذا الغرض ولا يقال لمكان حصول الفعل عموماً (مدرسة) بل يقال له (مَدْرَس) فإنك إذا قمت بفعل الدرس في مكان ما لا يسمى ذاك مدرسة بل يسمى مَدْرَساً.

«وكذا المشربة ليست اسماً لكل موضع يشرب فيه الماء ويجري»^(٥) إنما هو اسم لهذا الموضع المخصوص وهو الغرفة أو الأرض المخصوصة بكونها أرضاً لينة دائمة النبات^(٦) ولو أريد موضع الشرب عموماً لقليل (مشرب) على القياس.

(١) «سيبويه» (٢ / ٢٤٨).

(٢) «الرضي على الشافية» (١ / ١٨٤). وانظر «سيبويه» (٢ / ٢٤٨).

(٣) «الرضي على الشافية» (١ / ١٨٤).

(٤) انظر «سيبويه» (٢ / ٢٤٨)، «الرضي على الشافية» (١ / ١٨٤).

(٥) «الرضي على الشافية» (١ / ١٨٤).

(٦) انظر «القاموس المحيط» (شرب).

وكذا المسرّبة وهي «الشعر المهدود في الصدر وفي السرة فبمنزلة المشرفة لم ترد مصدراً ولا موضعاً لفعل وإنما هو اسم مخطّ الشعر في الصدر وكذلك المأثرة والمكرّمة والمأدّبة»^(١).

فاتضح أن التغيير إنما هو للتغيير في المعنى. جاء في «شرح الرضي على الشافية»: «فكل ما جاء على (مفعّل) بكسر العين مما مضارعه يفعل بالضم فهو شاذ من وجه وكذا (مفعلة) بالتاء مع فتح العين وكذا (مفعّل) بكسر الميم وفتح العين و(مفعلة) كالمظنة أشد، و(مفعلة) بضم العين كالمقبّرة أشد، إذ قياس الموضع إما فتح العين أو كسرهما وكذا كل ما جاء من (يفعل) المكسور العين على (مفعّل) بالفتح شاذ من وجه، وكذا (مفعلة) بالتاء مع كسر العين و(مفعلة) بفتحها أشد.

لكن كل ما ثبت اختصاصه ببعض الأشياء دون بعض وخروجه عن طريقة الفعل فهو العذر في خروجه عن القياس كما ذكرنا»^(٢).

مفعلة:

وقد صاغوا من الثلاثي اللفظ أو الأصل على وزن (مفعلة) للدلالة على كثرة الشيء الجامد بالمكان كقولهم: أرض مأسدة، أي: كثرة الأسود، ومسبعة، أي: كثرة السباع، ومذأبة، أي: كثرة الذئاب^(٣).

جاء في «شرح الرضي على الشافية»: «واعلم أن الشيء إذا كثر بالمكان وكان اسمه جامداً فالباب فيه مفعلة بفتح العين»^(٤) وهو ليس بقياس^(٥). والمفعلة تدل أيضاً على سبب كثرة الشيء كقولهم: (الولد مَجْبَنَة مَبْخَلَة مَحْزَنَة) أي: سبب لكثرة العجب

(١) «سيبويه» (٢ / ٢٤٨).

(٢) «الرضي على الشافية» (١ / ١٨٤ - ١٨٥).

(٣) انظر «سيبويه» (٢ / ٢٤٩)، «التسهيل» (٢٠٩).

(٤) «شرح الرضي على الشافية» (١ / ١٨٨).

(٥) انظر «سيبويه» (٢ / ٢٤٩).

والبخل والحزن .

جاء في «حاشية الصبان»: «وقد صاغوا (مفعلة) من الثلاثي اللفظ أو الأصل لسبب كثرة مُسمَّاه أو محلها مثالها لسبب الكثرة (الولد مجبنة مبخلة) أي: سبب لكثرة الجبن عن الحرب وكثرة البخل .

ولمحلّ الكثرة: مأسدة ومَسبعة ومَقْثأة ومَفْعأة، أي: محلّ لكثرة الأسد والسبع والقثاء والأفعى»^(١).

(١) «الصبان» (٢ / ٣١٢) . وانظر «التسهيل» (٢٠٩) .

اسم الفاعل^(١)

ذكرنا في بحث (الاسم والفعل) أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد، والاسم يدل على الثبوت. ثم إن الأسماء ليست على درجة واحدة من الدلالة على الثبوت فإن اسم الفاعل يختلف عن المبالغة، وكلاهما يختلف عن الصفة المشبهة - كما سنرى - .
إن اسم الفاعل - كما يقول النحاة - يدل على الحدث والحدوث وفاعله^(٢).

ويقصد بالحدث معنى المصدر، وبالحدوث ما يقابل الثبوت فـ (قائم) - مثلاً - اسم فاعل يدل على القيام وهو الحدث، وعلى الحدوث أي التغير، فالقيام ليس ملازماً لصاحبه ويدل على ذات الفاعل أي صاحب القيام.

ولعلك تقول: لقد سبق أن قلت إن الاسم يدل على الثبوت وضربت أمثلة فيها أسماء فاعلين فكيف تنقض الآن ما قلته آنفاً وتقول: هو يدل على الحدوث لا الثبوت؟

والحقيقة هي أن لا تناقض بين القولين وإنما يقع اسم الفاعل وسطاً بين الفعل والصفة المشبهة، فالفعل يدل على التجدد والحدوث، فإن كان ماضياً دل على أن حدثه تم في الماضي، وإن كان حالاً أو استقبالياً دل على ذلك، أما اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل ولكنه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، فإن كلمة (قائم) أدوم وأثبت من قام أو يقوم ولكن ليس ثبوتها مثل ثبوت (طويل) أو (دميم) أو (قصير) فإنه يمكن الانفكاك عن القيام إلى الجلوس أو غيره ولكن لا يمكن الانفكاك عن الطول أو

(١) يسميه الكوفيون الفعل الدائم - انظر «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٤٣ ، ٢٢٢).

(٢) «التصريح» (٢ / ٦٥).

الدمامة أو القصر .

وقد تكون هناك صفات مشبهة يمكن الانفكاك عنها كعطشان وصديان ولكن يبقى الخلاف بينها وبين اسم الفاعل واضحاً كما سنوضحه في بحث الصفة المشبهة .

وقد سبق أن ضربت مثلاً يوضح ثبوت اسم الفاعل بالنسبة للفعل من المفيد إعادته هنا، فقد تسأل طالباً: أنتجح هذا العام؟ فيقول لك: أنا ناجح، أي: كأن الأمر قد تم وانتهى وثبت لصاحبه وإن لم يكن كذلك . فكلمة (ناجح) دلت على الثبوت بعكس (تنجح) . وتقول: ألا ينام أخوك؟ فتقول: هو نائم .

وثمة فرق واضح بين قولك: هو يَجِدُّ وهو مُجِدِّ، وهو يجتهد ومجتهد، ويحفظ وحافظ، فإن اسم الفاعل - كما ترى - يدل على ثبوت الوصف بالنسبة للفعل ولكنه يدل على الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة كما ذكرت لك في قائم وطويل ونائم وكريم .

جاء في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ [هود: ١٢]: «فإن قلت: لِمَ عدلَ عن (ضيق) إلى (ضائق)؟ قلت: ليدل على أنه ضيقٌ عارضٌ غير ثابت لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدرًا، ومثله قولك: (زيد سيّد وجواد) تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد»^(١).

وجاء فيه أن «الفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد، وأما المائت فصفة حادثة تقول: (زيد مائت غداً) كما تقول (سائد غداً) أي: سيموت وسيسود، وإذا قلت: (زيد ميت) فكما تقول (حي) في نقيضه فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت»^(٢).

وفيه أيضاً: «أن الميت كالحَيِّ صفةٌ ثابتة، وأما المائت فيدل على الحدوث

(١) «الكشاف» (٢ / ٩٢) . وانظر «الرضي على الكافية» (٢ / ٢٢٠)، «الأشباه والنظائر» للسيوطي (٢ /

٢٠١، ٢٠٦)، «الكليات» لأبي البقاء (٢٣٢) .

(٢) «الكشاف» (٣ / ٣١) .

تقول: زيد مائت الآن ومائت غداً، كقولك: يموت، ونحوهما: ضيق وضائق في قوله تعالى: ﴿وَضَائِقٌ يُدْءِ صَدْرُكَ﴾^(١).

وجاء في «معاني القرآن» للفراء: «والعرب تقول لمن لم يمّت: إنك ميت عن قليل ومائت. ولا يقولون للميت الذي قد مات: (هذا مائت) إنما يقال في الاستقبال ولا يجاوز به الاستقبال. وكذلك يقال: (هذا سيّدُ قومه اليوم) فإذا أخبرت أنه يكون سيدهم عن قليل قلت: (هذا سائد قومه عن قليل وسيد). وكذلك الطمع تقول: (هو طامع فيما قبلك غداً) فإذا وصفته بالطمع قلت: (هو طَمَع)، وكذلك الشريف تقول: (إنه لشريف قومه) و(هو شارفٌ عن قليل). وهذا الباب كله في العربية على ما وصفتُ لك»^(٢).

وجاء فيه في الفرق بين الحاذر والحذر: «كأن (الحاذر) الذي يحذرك الآن، وكأن (الحذر) المخلوق حذراً لا تلقاه إلا حذراً»^(٣).

وفي «الكشاف» أن «الحذر: اليقظ، والحاذر الذي يُجدّد حذره»^(٤).

وفي «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّا قَوْمًا عَمِيَّتٌ﴾ [الأعراف: ٦٤]. «والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله: ﴿وَضَائِقٌ يُدْءِ صَدْرُكَ﴾»^(٥).

ولذا كان إذا أردت أن تحول الصفة المشبهة من الدلالة على الثبوت إلى الحدوث حوّلتها إلى اسم الفاعل. جاء في «التصريح»: «إنك إن أردت ثبوت الوصف قلت: (حسن) وإن أردت حدوثه قلت: (حاسن) ولا تقول: حسن»^(٦).

(١) «الكشاف» (٢ / ٣٥٩).

(٢) «معاني القرآن» (٢ / ٢٣٢).

(٣) «معاني القرآن» (٢ / ٢٨٠).

(٤) «الكشاف» (٢ / ٤٢٦).

(٥) «الكشاف» (١ / ٥٥٣).

(٦) «التصريح» (٢ / ٨٢).

وجاء في «حاشية الصبان» أنه «إذا قصد بها - يعني الصفة المشبهة - النص على الحدوث حولت إلى فاعل . . . وفي «التصريح» عن الشاطبي وغيره إذا أريد حدوث الحسن قيل: حاسن لا حسن . . .

والفرق بين فاعل وغيره من تلك الصفات أن الأصل في (فاعل) قصد الحدوث وقصد الثبوت طارئاً^(١).

وفيها أيضاً أنه «إذا قصد حدوث الصفة المشبهة في الماضي أو الاستقبال حولت إلى فاعل فتقول في عفيف وشريف وحسن: عافّ وشارف وحاسن أمس وغداً. اهـ. والظاهر أن الأمر كذلك إذا قصد حدوثها في الحال»^(٢).

ولنا عودة إلى البحث في ذلك في موضوع الصفة المشبهة إن شاء الله تعالى.

* زمن اسم الفاعل :

يجيء اسم الفاعل للأزمنة الآتية :

١ - المَضيّ: وذلك كقوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]. أي: فطر. وتقول: (هذا قاتل زيد) أي: قتله وقد تقول: ما الفرق بين الفعل الماضي واسم الفاعل الدال على المضي؟ والجواب: أن اسم الفاعل يدل على ثبوت الوصف في الزمن الماضي ودوامه فيه بخلاف الفعل الماضي الذي يدل على وقوع الفعل في الزمان الماضي لا على ثبوته ودوامه. فقد تقول: (قام زيد بالأمر أمس)، وتقول: (هو قائم بالأمر أمس) وتقول: (حفظ سعيد أمس) وتقول: (هو حافظ أمس) فإنك ترى أن قولك (قام بالأمر) أو (حفظ) يدل على أن الأمر قد وقع أو قام به صاحبه بلا دلالة على الثبوت في حين أن قولك: (هو حافظ أمس) يدل على أن ذلك كان وصفه فيما مضى، وبمعنى آخر أن وصفَ الحفظ كان ثابتاً له وأن وصفَ القيام كان

(١) «حاشية الصبان» (٢ / ٣١٤).

(٢) «الصبان» (٣ / ٣)، وانظر أيضاً «الرضى على الكافية» (٢ / ٢٢٧)، «ابن يعيش» (٦ / ٨٢ - ٨٣)، «التسهيل» لابن مالك (١٤٠ - ١٤١)، «شرح الألفية» لابن النازم (١٨١).

ثابتاً له بخلاف قولك : (قام زيد) فإنه لا يدل إلا على أنه قام لا على ثبوت الوصف في الماضي .

ومثله قولك : (اجتهد خالد في العام المنصرم) و(كان خالد مجتهداً في العام المنصرم) فإنك ترى أن قولك (اجتهد) يدل على أن الاجتهاد حصل له في وقت من أوقات العام المنصرم في حين أن قولك (كان زيد مجتهداً) يدل على أن ذلك كان وصفاً له ثابتاً . ومثله (كان زيد نصح أخاه) و(كان زيد ناصحاً له) . وهذا بيّن .

٢ - الحال : وذلك نحو قوله : (كلانا ناظر قمرأ) . ونحو قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المدرثر : ٤٩] ، ونحو : (مالك واقفاً؟) فإن اسم الفاعل في هذه الأمثلة يدل على الحال .

٣ - الاستقبال : وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَجِدِينَ ﴾ [ص : ٧١ - ٧٢] ، أي : سأخلق ، وكقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] ، أي : سأجعل ، ونحو قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران : ٩] .

والفرق بينه وبين استعمال المضارع هو أن الأمر في اسم الفاعل كأنه قد تمّ وثبت وصفاً لصاحبه كما بينا ذلك .

٤ - الاستمرار : وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوَى * يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام : ٩٥ - ٩٦] ففلق الحب والنوى مستمر ، وفي كل يوم يفلق الله الإصباح .

٥ - الدلالة على الثبوت : وذلك كقولك : واسع الفم وبارز الجبين وجاحظ العينين . وهو في هذه الأمثلة ونحوها يدل على الثبوت كالصفة المشبهة بل هو صفة مشبهة .

جاء في (المفصل) أن اسم الفاعل والمفعول يجريان مجرى الصفة المشبهة في

الدلالة على الثبوت فيقال: ضامر البطن، وجائلة الشاح، ومعمور الدار، ومؤدب الخدام^(١).

دلالة على النسب:

قد يدل اسم الفاعل على النسب إلى الشيء كقولهم لذي الدرع: دارع، ولذي النبل: نابل، ولذي الرمح: رامح، ولذي النشاب: ناشب، ولذي السيف: سائف، ولذي الترس: تارس^(٢). ويقال: القوم سالحون والرجل سالح: إذا كان على الرجل أو القوم سلاحهم. ويقال: القوم سامنون زابدون: إذا كثر سمنهم وزبدهم^(٣). ومنه قولهم: رجل تامر، أي: ذو تمر، ولابن: ذو لبن، وخابز^(٤).

جاء في «المقتضب»: «فإن كان ذا شيء، أي: صاحب شيء بُني على (فاعل) . . . فقلت: رجل فارس أي: صاحب فرس، ورجل دارع ونابل وناشب، أي: هذه آتته، قال الشاعر:

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ بِالصِّفِ تَامِرٌ»^(٥)

و(فاعل) هنا ليس بجارٍ على الفعل إنما هو اسم صيغ لذي الشيء، ألا ترى أنك لا تقول: درع يدرع ولا لبن يلبن؟^(٦).

فقد دل اسم الفاعل فيما مر على النسب فكأنه قال: درعي ونحوه^(٧).

(١) «المفصل» (٢ / ١٢٣).

(٢) «المخصص» (١٥ / ٦٩)، «المقتضب» (١ / ١٢٠)، «ألفاظ الأشباه والنظائر» المنسوب لابن الأثير (٨١).

(٣) «النوادر» لأبي زيد (٩٤).

(٤) «إصلاح المنطق» لابن السكيت (٤٠٠)، «معجم الهوامع» (٢ / ١٩٨)، «أدب الكاتب» لابن قتيبة (١٥٦)، «الأشعري» (٤ / ٢٠٠)، «ديوان الأدب» للفارابي (١١٠).

(٥) «المقتضب» (٣ / ١٦١)، وانظر «تهذيب الألفاظ» لابن السكيت (٥٩٢ - ٥٩٣)، «التسهيل» (٢٦٦).

(٦) «ابن يعيش» (٦ / ١٣).

(٧) «سيبويه» (٢ / ٩١)، «ابن يعيش» (٥ / ١٠٠).

ومن ذلك ما كان على (فاعل) أو (مفعول) من الصفات التي تختص بالموث بغير هاء التأنيث نحو: حائض وطالق ومرضع، إذ قد يأتي فاعل وصفاً للموث بمعنيين فتثبت الهاء في أحدهما وتسقط من الآخر لاختلاف المعنى فيقال مثلاً:

(امرأة طاهر) من الحيض و(امرأة طاهرة) نقيّة من العيوب، وكذلك (امرأة حامل) من الحبل و(حاملة) على ظهرها أو تحمل شيئاً ظاهراً، و(امرأة قاعد) إذا قعدت عن المحيض و(قاعدة) من القعود^(١) ففرق بينهما بالتاء لافتراق المعنيين.

وقد يكون دخول التاء وسقوطها لغير ذلك كحائض وحائضة وطالق وطالقة ومرضع ومرضعة وذلك أنه إذا كان بغير التاء فهو للنسب كحائض بمعنى: ذات حيض، ومرضع بمعنى: ذات إرضاع، ونابل بمعنى: ذات نبل، ولابن، وبالتاء على إرادة الفعل «ومعنى إرادة الفعل كونه للتجدد والحدوث كالفعل، وما كان بمعنى النسب ليس كذلك بل هو للثبوت»^(٢).

فالمرضع مَنْ كان لها لبن رضاع وإن لم مباشر الإرضاع في حال وصفها به، وأما المرضعة فهي التي في حال الإرضاع مُلقمة ثديها للصبى^(٣). قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢].

قال ابن القيم: «المرضع مَنْ لها ولد ترضعه، والمرضعة مَنْ أَلْقَمَت الثدي للرضيع وعلى هذا فقلوه: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أبلغ من (مرضع) في هذا المقام فإن المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعه لم تذهل عنه إلا لأمر هو أعظم من اشتغالها بالرضاع»^(٤).

(١) «أدب الكاتب» (٢٢٩)، «إصلاح المنطق» (٣٧٦)، «التلويح في شرح الفصيح» (٧٤)، «المزهر» (٢) / (٢١٧).

(٢) «حاشية الصبان» (٢ / ٢٩٥).

(٣) «الكشاف» (٢ / ٣٤٠)، «المخصص» (١ / ٢٥).

(٤) «التفسير القيم» (٣٦٦، ٢٧٠).

وقال الفخر الرازي: «المرضعة هي التي في حال الإرضاع وهي ملقمة ثديها للصبي، والمرضع شأنها أن ترضع وإن لم تبشر الإرضاع في حال وصفها به فقل: مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعتة من فيه لما يلحقها من الدهشة»^(١).

وجاء في «لسان العرب»: «قال الأخفش: أدخل الهاء في (المرضعة) لأنه أراد - والله أعلم - الفعل ولو أراد الصفة لقال (مرضع). وقال أبو زيد: المرضعة التي ترضع وثديها في في ولدها، وعليه قوله تعالى: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾... وقد يجيء (مرضع) على معنى ذات إرضاع أي: لها لبن وإن لم يكن لها رضيع»^(٢).

وكذلك شأن أخواتها من الصفات المختصة بالمؤنث كحائض وطالق «ألا ترى إلى قوله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» فإن المراد به الموصوفة بكونها من أهل الحيض لا مَنْ يجري دمها»^(٣).

أما التي يجري دمها فهي الحائضة. وجاء في «المخصص»: «تقول: امرأة حائضة غداً ومرضعة غداً، فلا ينزعون الهاء لأنه شيء لم يثبت وإنما الإخبار عنه على لفظ الفعل وهو قولنا: تحيض غداً وترضع غداً»^(٤).

ومثله قوله تعالى: ﴿الَسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]، ولم يقل (منفطرة) فمنفطر هنا على النسب أي: ذات انفطار»^(٥).

قال سيبويه: «زعم الخليل أن السماء منفطر به كقولك: معضل للقطاة، وكقولك: مرضع للتي بها الرضاع، وأما المنفطرة فيجيء على العمل كقولك: منشقة،

(١) «التفسير الكبير» (ج ٢٣ ص ٤).

(٢) «لسان العرب» (٩ / ٤٨٦) (رضع).

(٣) «التفسير القيم» (٢٧٠) لأن التي يجري دمها من الحيض لا صلاة عليها.

(٤) «المخصص» (١٦ / ١٢١).

(٥) «الكشاف» (٣ / ٢٨٣).

وكقولك: مرضعة للتي ترضع^(١). ونحوه قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]، أي: ذات عصف، وقال: ﴿وَلَسَلَيْمَنَ الرِّيحِ عَاصِفَةٌ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الأنبياء: ٨١]. فإنه لما أراد الحدوث أثَّت الصفة، أي: تعصف.

قال ابن يعيش: «اعلم أنهم قالوا: امرأة طالق وحائض وطامث وقاعد للآيسة من الحيض وعاصف في وصف الريح من قوله تعالى: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ فلم يأتوا فيه بالتاء وإن كان وصفاً للمؤنث وذلك لأنه لم يجر على الفعل وإنما يلزم الفرق ما كان جارياً على الفعل لأن الفعل لا بد من تأنيثه إذا كان فيه ضمير مؤنث حقيقياً كان أو غير حقيقي نحو: هند ذهبت وموعظة جاءت. فإذا جرى الاسم على الفعل لزمه الفرق بين المذكر والمؤنث كما كان كذلك في الفعل، وإذا لم يكن جارياً على الفعل كان بمنزلة المنسوب فحائض بمعنى حائضي، أي: ذات حيض على حد قولهم: رجل دارع أي: درعي بمعنى صاحب درع. ألا ترى أنك لا تقول درع فتجربه على فعل إنما قولك دارع، أي: ذو درع، وطالق أي: ذات طلاق، أي أن الطلاق ثابت فيها، ومثله قولهم: مرضع، أي: ذات رضاع ومنه قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] أي: ذات انفطار، وليس ذلك على معنى حاضت وانفطرت إذ لو أريد ذلك لأتوا بالتاء وقالوا: حائضة غداً وطالقة غداً لأنه شيء لم يثبت وإنما هو إخبار على طريق الفعل كأنك قلت: تحيض غداً وتطلق غداً. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَسَلَيْمَنَ الرِّيحِ عَاصِفَةٌ﴾... وذلك كله يجري على الفعل على تقدير: حاضت وطلقت^(٢).

وقال سيبويه في باب (هذا ما يكون مذكراً ويوصف به المؤنث): «وذلك قولك: امرأة حائض وهذه طامث كما قالوا: ناقة ضامر يوصف به المؤنث وهو مذكر فإنما الحائض وأشباهه في كلامهم على أنه صفة (شيء) والشيء مذكر فكانهم قالوا: هذا

(١) «سيبويه» (١ / ٢٤٠).

(٢) «ابن يعيش» (٥ / ١٠٠)، وانظر (٦ / ١٥).

شيء حائض ثم وصفوا المؤنث كما وصفوا المذكر بالمؤنث فقالوا: رجل نكحة فزعم الخليل أنهم إذا قالوا حائض فإنه لم يخرجها على الفعل، كما أنه حين قال دارع لم يخرجها على فَعَلَ وكأنه قال درعي فإنما أراد ذات حيض ولم يجيء على الفعل وكذا قوله (مرضع) إذا أراد ذات رضاع ولم يُجرها على أرضعت ولا ترضع فإذا أراد ذلك قال مرضعة، وتقول: هي حائضة غداً لا يكون إلا ذلك لأنك إنما أجريتها على الفعل على: هي تحيض غداً. هذا وجه ما لم يجر على فعله فيما زعم الخليل مما ذكرنا في هذا الباب^(١). وعلى هذا لا يقال: «هذه امرأة مرضع ولدها لأنها تفيد النسب»^(٢).

وقال ابن النازم: «فما كان من الصفات مختصاً بالمؤنث ولم يُقصد به قصد فعله من إفادة الحدوث نحو: حائض وطامث بمعنى ذات أهلية للحيض والطمث دون تعرض لوجود الفعل فلو قصد أنه تجدد لها الحيض أو الطمث في أحد الأزمنة لحقت التاء فقيلاً: حائضة وطامثة»^(٣).

وجاء في «التسهيل»: «الغالب في الصفات المختصة بالإناث إن لم يقصد بها معنى الفعل أن لا تلحقها التاء لتأديتها معنى النسب أو لتذكير ما وصف بها أو لأمن اللبس»^(٤).

وقد ذهب الكوفيون في نحو ذلك إلى أن سقوط التاء فيه كونها مما لا يوصف به المذكر وهو مردود بصفات كثيرة يشترك فيها المذكر والمؤنث بغير هاء كقولهم: رجل عاشق وامرأة عاشق، ورجل حاسر وامرأة حاسر، وفرس ضامر ومهرة ضامر، فلو كانت العلة ما قالوه للزم هذه الصفات التأنيث^(٥).

(١) «سيبويه» (٢ / ٩١).

(٢) «الأشموني» (٢ / ٢٩٥)، «شرح الشواهد» للعيني بهامش الأشموني (٢ / ٢٩٥).

(٣) «شرح ألفية ابن مالك» لابن النازم (٣١٠).

(٤) «التسهيل» (٢٥٤).

(٥) «الاتقاض في شرح أدب الكتاب» لابن السيد البطليوسي، «أدب الكاتب» (٢٣٠).

وقال النحويون: إن فاعلاً قد يجيء بمعنى مفعول نحو: ماء دافق، أي: ماء مدفوق، وعيشة راضية، أي: مرضية^(١) قيل: «والأولى أن يكون على النسب كنبيل وناشب»^(٢).

(١) «الرضي على الكافية» (٢ / ٢٢١)، «فقه اللغة» للثعالبي (٤٩٢).

(٢) «شرح الرضي على الكافية» (٢ / ٢٢١).

اسم المفعول

اسم المفعول ما دلّ على الحدث والحدوث وذات المفعول كمقتول ومأسور .
فهو - كما ترى - لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على الموصوف فإنه في اسم
الفاعل يدل على ذات الفاعل كقائم، وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول
كمنصور .

ويقال فيه ما قيل في اسم الفاعل من حيث دلالاته على الحدوث والثبوت، فهو
يدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل وعلى الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة . فقد
تقول: أترى أنك ستنصر عليهم؟ فيقال: (أنا منصور) أي أن هذا الوصف ثابت لي .
وتقول: أظنه سيُغلب؟ فيقال: (هو مغلوب) أي هذا الوصف كأنه قد تم وثبت له .

كما أنه من حيث الدلالة على الزمن يقال فيه ما قيل في اسم الفاعل فهو يدل
على:

١ - الماضي: وذلك نحو: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢]، أي: سُمي .
ونحو: (هو مقتول) أي: قُتل .

٢ - الحال: نحو: أقبل مسروراً، مالك محزوناً؟ أنت مغلوب على أمرك . .

٣ - الاستقبال: وذلك كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾
[هود: ١٠٣]، أي: سيجمع ويشهد . ونحو: (إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول) أي:
ستقتل .

٤ - الاستمرار: نحو قوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨] .

ونحو: (لا زال سيفك مسلولاً) ونحو: ﴿وَأَحَبُّ إِلَيْنِ مَا أَحَبُّ إِلَيْنِ * فِي سِدْرِ تَحْضُورٍ * وَطَلَحَ مَنْضُورٍ * وَظَلَّ مَمْدُورٍ * وَمَا مَسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٣١].

٥ - الدلالة على الثبوت كالصفة المشبهة نحو: هو مُدَوَّر الوجه، مقرون الحاجبين مفتول الساعدين، بل هو صفة مشبهة^(١).

فعليل:

قد يؤتى بفعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل، فيستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال: هو جريحٌ وهي جريحٌ وهو أسير وهي أسير. فما الفرق بينه وبين مفعول؟

إن صيغة (فعليل) الدالة على (مفعول) شبيهة بأختها (فعليل) بمعنى (فاعل) في الصفة المشبهة.

فصيغة (فعليل) في الصفة المشبهة تدل على أن الوصف ثابت في صاحبه أو كالثابت، طبيعة أو كالطبيعة فتقول: هو طويل أو قصير، وقبيح أو جميل، فهذه الصفات ثابتة في أصحابها. وتقول: هو خطيب وبلغ وفقه فتدل على أن هذه الصفات كالطبيعة في صاحبها وكالسجية فيه إذ هي لا ترقى إلى درجة الثبوت في طويل وقصير ونحوها.

وأما (فعليل) بمعنى (مفعول) فيدل على أن الوصف قد وقع على صاحبه بحيث أصبح سجيةً له أو كالسجية، ثابتاً أو كالثابت فتقول: (هو محمود) و(هو حميد) ف(حميد) أبلغ من (محمود) لأن حميداً يدل على أن صفة الحمد له ثابتة. وكذا (الرجيم) أي الذي يستحق أن يُرجم على وجه الثبوت.

وتقول: (طَرَفٌ مكحول) و(طرف كحيل) فكحيل أبلغ من مكحول لأن معناه أن الكحل أصبح في صاحبه كأنه خِلقة، وتقول: (كَفٌّ خَضِيب) و(كف مخضوب) فخضيب أبلغ من مخضوب لأن خضيباً يدل على أن الخضاب أصبح في صاحبه كأنه

(١) انظر «المفصل» (٢ / ١٢٣).

خلقة بخلاف مخضوب الدال على التجدد.

فصيغة (فعل) بمعنى (مفعول) تدل على الثبوت أو على معنى قريب من الثبوت بخلاف صيغة مفعول الدالة على الحدوث.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن صيغة (مفعول) تحتل الحال والاستقبال وتحتل غيرها - كما مر - ومنه قول عبد الله بن الزبير لأمه: «اعلمي يا أمه أنني مقتول من يومي هذا» ومثله قول كعب بن زهير: «إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول». وأما صيغة (فعل) فلا تطلق إلا إذا اتصف صاحبه به. فلا تقول: (هو قتل) لمن لم يقتل، ولا تقول: (هو جريح) لمن لم يجرح، ويصح أن تقولهما بصيغة (مفعول).

قال سيبويه: «وتقول: شاة رمي إذا أردت أن تخبر أنها قد رُميت»^(١)، وجاء في «أدب الكاتب»: «وكذلك شاة رمي: إذا رُميت»^(٢).

وجاء في «المخصص»: «وذكر غير سيبويه: شاة ذبيح وغنم ذبحي فيما قد ذبح»^(٣)، وفي «الكليات» لأبي البقاء: أن الذبيح ما ذُبح^(٤). وفي «إصلاح المنطق»: «ناقة بغير: إذا شُقَّ بطنها»^(٥).

ثم إن فعلاً أبلغ من مفعول وأشد فإن صيغة (مفعول) تدل على الشدة والضعف في الوصف بخلاف (فعل) التي تُفيد الشدة والمبالغة في الوصف فالمجروح جرحاً صغيراً أو بالغاً يصح أن يسمى مجروحاً، ولا يقال جريح إلا إذا كان جرحه بالغاً، ومثله المكسور والكسير.

جاء في «شرح شذور الذهب» في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَمْ﴾

(١) «سيبويه» (٢ / ٢١٣).

(٢) «أدب الكاتب» (٢٢٨).

(٣) «المخصص» (١٦ / ١٥٦).

(٤) «الكليات» (١٨٨).

(٥) «إصلاح المنطق» (٣٧٨).

بِالْأَمْسِ ﴿ [يونس : ٢٤] : «وأقيم فعيل مقام مفعول لأنه أبلغ منه ، ولهذا لا يقال لمن جرح في أناملته جريح ، ويقال له : مجروح»^(١).

وذكر ابن النازم أن (مفعولاً) يقبل «معناه الشدة والضعف . وبعد النقل إلى (فعيل) لم يصلح إلا حيث يكون معنى الحدث فيه أشد ، ألا ترى أن من أصيب في أناملته بمديّة يسمى مجروحاً ولا يسمى جريحاً؟»^(٢).

من هذا نستنتج أن فعيلاً بمعنى مفعول يختلف عن (مفعول) في ثلاثة أمور :

١ - الدلالة على أن الوصف قد وقع على صاحبه على وجه الثبوت أو قريب من الثبوت فأصبح فيه كأنه خِلقة وطبيعة ، فيكون (فعيل) على هذا أبلغ من (مفعول) في الوصف ، فكحيل أبلغ من مكحول ، ودهين أبلغ من مدهون ، وحميد أبلغ من محمود لأنه أثبت - كما ذكرنا - .

جاء في «الكليات» : «الحميد فعيل من الحمد بمعنى محمود وأبلغ منه وهو مَنْ حصل له من صفات الحمد أكملها»^(٣).

٢ - لا يطلق وصف (فعيل) إلا إذا اتصف به صاحبه فلا يقال (أسير) إلا إذا أُسر ، ولا جريح إلا إذا جرح ، في حين أن مفعولاً قد يطلق على ما اتصف به صاحبه أو لم يتصف بمعنى أنه سيتصف به ، فقد تطلق كلمة (مأسور) على مَنْ لم يؤسر بمعنى أنه سيؤسر ، ومقتول على من لم يقتل بمعنى أن سيقتل ، ونحوه قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَلْفَرَعَوْتُ مَقْبُورًا﴾ [الإسراء : ١٠٢] أي : ستُبر وهكذا .

٣ - إن الوصف بفعيل أشد من مفعول كما في جريح ومجروح وكسير ومكسور .

(١) «شرح شذور الذهب» (١٠٢).

(٢) «شرح الألفية» (٢٢٦).

(٣) «كليات» أبي البقاء (١٤٩).

فعيلة :

قد تلحق تاء التانيث صيغة (فعليل) هذه فتحولها من الوصفية إلى الاسمية كالذبيحة والنطيحة، فالذبيحة اسم لما أُعدَّ للذبح.

جاء في «شرح الرضي على الشافية» أنه قد يحول فعليل إلى الاسمية وهو ما دخله التاء كالذبيحة والأكلة والضحية والنطيحة. فالذبيحة ليست كالمذبح بل الذبيحة مختص بما يصلح للذبح ويُعدُّ له من النعم. وكذا الأكلة ليس بمعنى المأكول كالخبز والبقول؛ بل يختص بالشاة، والضحية مختص بالنعم، والنطيحة بالشاة الميتة بالنطح^(١).

ومثله في الأطعمة: النقيعة والكيرة والمضيرة والجزيرة والبسيصة وغيرها وكلها خرجت من الوصفية إلى الاسمية^(٢).

ولفعيلة دلالة أخرى تختلف عن دلالة (فعليل) فالذبيح ما ذبح ولكن الذبيحة ليست كذلك وإنما ما أُعدَّ للذبح والضحية ما أُعد لذلك.

قال سيويو: «وتقول: شاة ذبيح كما تقول: ناقة كسير، وتقول: هذه ذبيحة فلان وذبيحتك وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت. ألا ترى أنك تقول ذاك وهي حية؟ وإنما هي بمنزلة ضحية. وتقول: (شاة رمي) إذا أردت أن تخبر أنها قد رميت، وقالوا: (بش الرمية الأرنب) إنما تريد بش الشيء مما يرمى فهذه بمنزلة الذبيحة... وأما الذبيحة فبمنزلة القتوبة والحلوبة وإنما تريد هذه مما يقتبون وهذه مما يحلبون، فيجوز أن تقول: قتوبة ولم تُقتَبْ، وركوبة ولم تُركَبْ، وكذلك فريسة الأسد بمنزلة الضحية وكذلك أكلة السبع»^(٣).

وجاء في «المخصص»: «اعلم أنهم يدخلون في (فعليل) الذي بمعنى مفعول الهاء على غير القصد إلى وقوع الفعل به ووقوعه فيه، ومذهبهم في ذلك الإخبار عن الشيء

(١) انظر «الرضي على الشافية» (٢ / ١٤٢ - ١٤٣)، «الكشاف» (٢ / ٤٦٠).

(٢) «تهذيب الألفاظ» (٦٣٥) وما بعدها، «كفاية المتحفظ» للأجدابي (باب في الأطعمة).

(٣) «سيويو» (٢ / ٢١٣)، وانظر «أدب الكاتب» (٢٢٨).

المتخذ لذلك الفعل والذي يصلح له، كقولهم (ضحية) للذكر والأنثى، ويجوز أن يقال ذلك من قبل أن يُضحى به، وذبيحة فلان لما قد أُتخذَ للذبح، وقولهم: (بش الرمية الأرنب) أي الشيء الذي يُرمى سواء رُمي أو لم يُرمَ»^(١).

وفي «الكليات» لأبي البقاء: «الذبيحة هي ما سيذبح من النعم، فإنه نقل عن الوصفية إلى الاسم إذ الذبيح ما ذبح»^(٢).

وعلى هذا ففعيلة تختلف عن فعيل في ناحيتين:

١ - أن (فعيلة) تدل على الاسم لا الوصف إذ إن تاء التانيث حولت فعلاً من الوصفية إلى الاسم.

٢ - أن (فعيلاً) يطلق على ما اتصف به صاحبه، وأما (فعيلة) فتطلق على ما اتخذ لذلك، فالذبيح يطلق على ما ذبح والذبيحة لما اتخذ لذلك.

(١) «المخصص» (١٦ / ١٥٥)، وانظر «أدب الكاتب» (٢٢٨).

(٢) «الكليات» (١٨٨).

صيغ أخرى للدلالة على مفعول

وردت في اللغة صيغ تدل على مفعول أشهرها:

١ - فَعْل بكسر الفاء وسكون العين: كطِخَن بمعنى مطحون، ورِغِي بمعنى مرعي، وطِرَح بمعنى مطروح، وهذه في الحقيقة أسماء تدل على المفعول لا صفات فالطِخَن: هو الدقيق، والرِّغِي: هو اسم ما رعي من عشب ونحوه، والنَّقْض: الجمل الذي نقضه السفر.

ومن الصفات قولهم: شيء بَذَع، أي: مبتدع^(١)، وقولهم: رجل نَكَل للذي يُنْكَلُ به أعداؤه^(٢).

وقد يفيد الدلالة على القدر كقولهم (هذا شِبعه) أي: قدر ما يشبعه، وهو مِلء هذا، أي: قدر ما يملؤه^(٣).

٢ - فَعْل بفتح الفاء والعين: كالقَنَص والسَلَب والكَرَع، فالسَلَب بمعنى المسلوب، والنَّقْض بمعنى المنفوض، والخَبَط: الورق المخبوط، والكَرَع: الماء الذي يكرع فيه. وهذه أسماء، ومن الصفات قولهم: إِبِل هَمَل، أي: مهملة، ورجل نَكَل للذي ينكل به أعداؤه.

٣ - فَعْل بضم الفاء وسكون العين: كالخُبَز بمعنى المخبوز والطَّعْم بمعنى

(١) «ديوان الأدب» (١ / ١٨٧).

(٢) «ديوان الأدب» (١ / ١٩٣).

(٣) انظر «سبويه» (٢ / ٢٢٨).

المطعموم . وهذه أسماء فالخبز اسم ما خُبِزَ ، والنُقْضُ اسم ما نقض من الدار .

وقد تأتي وصفاً يفيد المبالغة نحو قولهم : (ناقة عُبْرُ أسفار) أي : تعبر عليها الأسفار^(١) ويقال : شيء نُكِرَ^(٢) أي : منكر قال تعالى : ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف : ٧٤] ومنه قولهم : (أرض غُفْل) للتي لا عِلْمَ فيها ، ودابة غُفْل للتي لا سِمَةَ بها^(٣) .

٤ - فُعْلة بضم الفاء وسكون العين : كاللُّعْنة للذي يُلْعَن كثيراً ، والسُّبَّة للذي يُسَبُّ ، وهو يفيد المبالغة^(٤) . جاء في «لسان العرب» : «اللُّعْنة : الذي لا يزال يُلْعَن لشرارته»^(٥) ورجل صُرْعَة يُصْرَع كثيراً^(٦) .

وقد تفيد الدلالة على القَدَر كالغُرْفَة وهي مقدار ملء الراحة من الماء^(٧) ، والخطوة : مقدار ما بين القدمين ، واللُّقْمة : مقدار ما يوضع في الفم من الطعام «ويقال : عنده شُبْعة من الطعام ، أي : قدر ما يشبع به مرة»^(٨) .

٥ - فُعَل بضم الفاء والعين : كالأَكُل : اسم ما يؤكل ، والنُّزُل : الطعام الذي يقدم للضيفان .

وهذه أسماء لا أوصاف . وقد يأتي وصفاً يفيد مبالغة اسم المفعول نحو : (باب فُتِح) أي : واسع ضخم مفتَح .

جاء في «لسان العرب» : «باب فُتِح ، أي : واسع مفتَح ، وفي حديث أبي الدرداء . وَمَنْ يَأْتِ بَاباً مَغْلَقاً يَجِدْ إِلَى جَنْبِهِ بَاباً فُتْحاً ، أي : واسعاً ولم يرد الباب المفتوح . وأراد

(١) «ديوان الأدب» (١ / ١٥٣) .

(٢) «ديوان الأدب» (١ / ١٥٤) .

(٣) «ديوان الأدب» (١ / ١٥٨) .

(٤) «شرح الرضي على الشافية» (١ / ١٦٢) .

(٥) «لسان العرب» (لعن) (١٧ / ٢٧٣) .

(٦) «لسان العرب» (صرع) (١٠ / ٦٤) .

(٧) «درة الغواص» (١٧١) .

(٨) «ديوان الأدب» (١ / ١٧٠) .

بالباب الفُتْحُ الطلب إلى الله والمسألة^(١).

وقالوا: (قارورة فُتِحَ) أي: واسعة الرأس بلا صمام ولا غلاف لأنها حينئذ مفتوحة^(٢). والفرق بينها وبين قارورة مفتوحة أن القارورة المفتوحة قد تكون لها غلاف وصمام فتغلق فهي مفتوحة في وقت دون آخر، أما الفُتْحُ فهي مفتوحة دوماً، فهذا مبالغة في الاتصاف بالمفعول.

ومثله: (شيء نُكِرَ) أي: منكر شديد النكارة، قال تعالى: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكِرٍ﴾ [القمر: ٦]، جاء في «الكشاف»: «شيء نُكِرَ: منكر فظيع تُنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة»^(٣).

٦ - فَعُولٌ بفتح الفاء: كرسول بمعنى مُرْسَلٍ. ويجيء الفَعُولُ لما يُفَعَّلُ به الشيء كالوَجُورِ لما يوجر به وهو الدواء الذي يدخل في الفم، والنَّقْوَع وهو لما يُنْقَعُ ليلاً ليشرب، والْقَيْوَاء: دواء يشرب للقيء^(٤).

وهذه أسماء كما ترى، وقد تأتي هذه الصيغة لمبالغة اسم المفعول نحو قولهم: ناقة ذُلُول رَكُوب. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، جاء في «الكشاف» في هذه الآية: «المشي في مناكبها مثلٌ لفرطِ التذليل ومجاوزته الغاية»^(٥). وقالوا: ناقة أُمُون للناقة التي «يُؤْمَنُ فُتُورُها وعُثُورُها»^(٦).

٧ - فُعَالٌ بضم الفاء: وتستعمل هذه الصيغة لما كان مرفضاً أو متقطعاً من شيء كالحُطَام والجُذَاذ والرفات والفُتَات^(٧)، ولما اجتمع بعضه إلى بعض

(١) «لسان العرب» (فتح) (٣ / ٣٧٠)، وانظر (١٢ / ١٦٥).

(٢) «لسان العرب» (فتح) (٣ / ٣٧٠).

(٣) «الكشاف» (٣ / ١٨٢).

(٤) «شرح الرضي على الشافية» (١ / ١٦٢).

(٥) «الكشاف» (٣ / ٢٥٤).

(٦) «مفردات الراغب» (٢٦) (أمن).

(٧) «المخصص» (١٤ / ١٣٥)، «الرضي على الشافية» (١ / ١٥٥).

كالجُفاء والغُثاء^(١).

ومن الوصف قولهم: خبز مُحاش وشواء مُحاش: إذا حُرِق^(٢).

٨ - فُعالة بضم الفاء: وتكون للقليل المفصول من الشيء الكثير كالقُلامة والنُخالة^(٣) ولما فيه معنى الفضالة كالصُّبابة والنُخالة^(٤).

جاء في «ديوان الأدب»: «إن فُعالاً يكون لما انحطم من الشيء وتكسر منه نحو: حُطام ودقاق. . . فإذا كان بالهاء فهو فُضالة الشيء وما تَحَاتَّ منه وبقي بعد الفعل»^(٥) وذلك نحو: البُرادة لما سقط عن البرد، والقُرَاضة لما سقط عن القرض، والصُّبابة: بقية الماء وغيره في الإناء، والحُشاشة: بقية النفس^(٦).

وفي «الصاحبي» أن (فُعالة) «يأتي أكثره على ما يفضل عن الشيء ويسقط منه نحو: النُخاتة»^(٧).

٩ - فِعال بكسر الفاء: نحو: كِتَابٌ وخِضَابٌ وهو ما يُخْتَضَبُ به، ولباسٌ وهو ما يلبس، ومِزاجُ الشراب وهو ما مُزِجَ به^(٨).

وهذه أسماء ومن الوصف قولهم: (كأْسٌ دِهَاق) أي: مُدهقة، ومعنى مدهقة: ملأى مُترعة، يقال: «أدهقَ الكأس: شَدَّ ملأها. . . ويقال: أدهقت الكأس إلى أصبارها، أي: ملأتها إلى أعاليها. وفي «التهذيب»: دهقت الكأس، أي: ملأتها»^(٩).

(١) «معاني القرآن» للفراء (٢ / ٦٢)، وانظر «لسان العرب» - جفاً.

(٢) «ديوان الأدب» (١ / ٤٤٣).

(٣) «الرضي على الشافية» (١ / ١٥٥).

(٤) انظر «سيبويه» (٢ / ٢١٧).

(٥) «ديوان الأدب» (١ / ٨٥ - ٨٦).

(٦) انظر «ديوان الأدب» (١ / ٤٤٧ - ٤٤٩)، (٣ / ٨٧).

(٧) «الصاحبي» (١٩١ - ١٩٢).

(٨) انظر «ديوان الأدب» (١ / ٤٥٤، ٤٦٠).

(٩) «لسان العرب» (دهق).

١٠ - أفعولة بضم الهمزة: كالأضحوكة وهو ما يضحك به^(١)، والأطروحة وهي المسألة تطرحها^(٢)، وأعجوبة يُتعجب منها، وألعوبة يُلعب بها، ولفلان أسجوعة يسجع بها، وبينهم أسبوبة يتسابون بها، وأحجية يتحاجون بها^(٣). والأحدوثة: وهي ما يتحدث به الناس تلهياً وتَعْجُباً^(٤). والأضحية: وهي اسم لما يُذبح من الغنم والبقر^(٥).
وهي تدل على الشيء المعين الذي يفعل به الفعل. جاء في «الكليات» أن «صيغة أفعولة إنما تطلق على محقرات الأمور وغرائبها»^(٦).

(١) «لسان العرب» (ضحك).

(٢) «لسان العرب» (طرح).

(٣) «المزهر» (٢ / ١٢٦).

(٤) «تفسير الرازي» (٢٣ / ١٠٠).

(٥) «التلويح» (٦٢).

(٦) «الكليات» (٤٢٦).

مبالغة اسم المفعول

مما مر تبين لنا أن ثمة صيغاً تفيد مبالغة اسم المفعول كما أن صيغاً تفيد مبالغة اسم الفاعل في نحو: غفار وغفور ومعطار .

ومن الصيغ التي تفيد مبالغة اسم المفعول :

١ - فُعْلَةٌ نحو: صُرْعَةٌ وهو الذي يُصرع كثيراً، ولُعْنَةٌ، وَسُبَةٌ، وَضُحْكَةٌ وهو الذي يضحك منه الناس .

ويقابلها من صيغ مبالغة اسم الفاعل (فُعْلَةٌ) بفتح العين نحو: صُرْعَةٌ وهو الذي يصرع الناس كثيراً، ولُعْنَةٌ وهو الذي يلعن الناس كثيراً، وَضُحْكَةٌ وهو الذي يضحك من الناس .

٢ - فَعِيلٌ نحو: حميد وهو الذي لا يزال يحمد كثيراً، ورجيم وهو الذي يُرجم كثيراً .

ويقابلها من صيغ مبالغة اسم الفاعل فعيل بمعنى فاعل نحو: عليم وسميع .

٣ - فَعُولٌ نحو: ناقة ذَلُولٌ رَكُوبٌ وناقة أَمُونٌ .

ويقابلها من مبالغة اسم الفاعل فعول بمعنى فاعل نحو: غفور وصبور .

٤ - فُعْلٌ نحو: باب فُتِحَ، وباب غُلِقَ، وأمر نُكِرَ .

ويقابلها من صيغ مبالغة اسم الفاعل فُعْلٌ بمعنى فاعل نحو: رجل سُهِدَ، أي: قليل النوم، وفَرَسٌ فُرِطَ: إذا كانت تتقدم الخيل، ورجل مُسِكَ، أي: بخيل، ورجل

فُرُج، أي: لا يكتم السر^(١).

٥ - فُعِلَ بضم الفاء وسكون العين نحو: ناقة عُبرَ أسفار، وشيء نُكِرَ.

ويقابلها من الصفات المشبهة باسم الفاعل فُعِلَ بمعنى فاعل نحو: حُرَّ وُصِّلَ.

٦ - فَعَلَ بفتحين نحو: إبل هَمَلَ، ورجل نَكَلَ للذي يَنْكُلُ به أعداؤه.

ويقابلها من الصفات المشبهة: رجل صَنَعَ، أي: حاذق، وثوب خَلَقَ، ومكان زَلَقَ، ورجل حَسَنَ.

والذي يبدو أن ما عدل عن صيغة مفعول إلى صيغة أخرى يفيد المبالغة عموماً وذلك لأن النقل يفيد المبالغة في الغالب.

(١) انظر «ديوان الأدب» (١ / ٢٦٠ - ٢٦٣).

الصفة المشبهة

يرى النحاة أن الصفة المشبهة تدل على الثبوت، ومعنى الثبوت الاستمرار واللزوم^(١) أي أنها تدل على أن الصفة ثبتت في صاحبها على وجه الدوام نحو: جميل وطويل وكريم وأحمق وأسمر وأبيض وجواد وضخم. فإذا أردنا الحدوث حوّلنا الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل.

تقول: (هو كريم) أي: هو متصفٌ بالكرم على وجه الاستمرار، فإذا أردتَ أنه سيقع منه كرم في الغد قلت: (هو كارم غداً) ولا تقول: (هو كريم غداً). وكذلك إذا وقع منه كرم في الماضي قلت: (هو كارم أمس) ولا تقول: (هو كريم أمس). ومثله: (هو جواد) أي: هو الآن متصف بالجود على وجه الاستمرار، فإذا أردتَ أنه جاد بالأمس قلت: (هو جائد بالأمس) ولا تقول: (هو جواد بالأمس) وكذا إذا أردت أنه سيقع منه جود في الغد قلت: (هو جائد غداً) ولا تقول: (هو جواد غداً). ومثله: فَرِحَ وفارح وحسن وحاسن، فإذا قلت: (كان كريماً فيما مضى) كان المعنى أنه كان متصفاً بالكرم في الماضي على جهة الاستمرار واللزوم.

جاء في «التصريح»: «أنك إن أردتَ ثبوتَ الوصف قلت (حسن) ولا تقول (حاسن)، وإن أردتَ حدوثه قلت (حاسن) ولا تقول (حسن)»^(٢).

وقال ابن يعيش: «هذه الصفات وإن كانت من أفعال ماضية إلا أن المعنى الذي

(١) «الرضي على الكافية» (٢ / ٢٢٧).

(٢) «التصريح» (٢ / ٨٢).

دلت عليه أمرٌ مستقر ثابت متصلٌ بحال الإخبار، ألا ترى أن الحسن والكرم معنيان ثابتان ومعنى الحال أن يكون موجوداً في زمن الإخبار فلما كان في معنى الحال أُعمل فيما بعده ولم يخرج بذلك عن منهاج أسماء الفاعلين. فإن قصد الحدوث في الحال أو في ثاني الحال جيء باسم الفاعل الجاري على المضارع الدال على الحال أو الاستقبال وذلك قولك: (هذا حاسن غداً) أي: سيحسن وكارم الساعة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا لَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢]... وعدل عن (ضيق) إلى ضائق ليدل على أنه ضيقٌ عارضٌ في الحال غير ثابت... وعلى هذا تقول: زيد سيد جواد، تريد أن السيادة والجود ثابتان له، فإذا أردت الحدوث في الحال أو في ثاني الحال قلت: سائد وجائد^(١).

وقال ابن القواس في «شرح الكافية»: «أنها - يعني الصفة المشبهة - لا توجد إلا ثابتة في الحال سواء كانت موجودة قبله أو بعده فإنها لا تتعرض لذلك بخلاف اسم الفاعل فإنه يدل عليه الفعل ويستعمل في الأزمنة الثلاثة ويعمل منها في الحال والاستقبال، ولذلك إذا قصدنا بالصفة معنى الحدوث أتى بها على زنة اسم الفاعل فيقال في حسن حاسن. فحسن هو الذي ثبت له الحسن مطلقاً، وحاسن الذي يثبت له الآن أو غداً^(٢).

وقال رضي الدين الاستربادي: «الثبوت أي الاستمرار واللزوم... ولهذا اطرُد تحويلُ الصفة المشبهة إلى فاعل: كحاسن وضائق عند قصد النص على الحدوث.

والذي أرى أن الصفة المشبهة كما أنها ليست موضوعاً للحدوث في زمان ليست أيضاً موضوعاً للاستمرار في جميع الأزمنة، لأن الحدوث والاستمرار قيدان في الصفة ولا دليل فيها عليهما. وليس معنى (حسن) في الوضع إلا ذو حُسن سواء كان في بعض الأزمنة أو جميع الأزمنة، ولا دليل في اللفظ على أحد القيدتين. فهو حقيقة في القدر

(١) «ابن يعيش» (٦ / ٨٢ - ٨٣).

(٢) «الأشباه والنظائر» للسيوطي (٢ / ٢٠٦).

المشترك بينهما وهو الاتصاف بالحسن، لكن لما أطلق ذلك ولم يكن بعض الأزمنة أولى من بعض ولم يجز نفيه في جميع الأزمنة لأنك حكمت بثبوتها فلا بد من وقوعه في زمان كان الظاهر ثبوته في جميع الأزمنة إلى أن تقوم قرينة على تخصيصه ببعضها كما تقول:

كان هذا حسناً فقيح، أو سيصير حسناً، أو هو الآن حسن فقط، فظهوره في الاستمرار ليس وضعياً^(١).

والظاهر أن الصفة المشبهة على أقسام: منها: ما يفيد الثبوت والاستمرار نحو: أبكم وأصم وأفطس وأشهل وأحور وأسمر وأبيض وأعور وأفوه أي: واسع الفم، ونحو: طويل وقصير ودميم وعقيم. وقد تدل على وجه قريب من الثبوت في نحو: نحيف وسمين وبليغ وكريم وجواد. وهي لا تدل على الثبوت في نحو: ظمآن وغضبان وريان - كما سنرى ذلك مفصلاً -.

وعلى هذا لا نرى أن يحكم بالثبوت عموماً على الصفة المشبهة بل الأولى التفصيل.

قد تقول: إذن ما الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة التي لا تدل على الثبوت مثل ظمآن وظامى؟

ونحن لا نعجل بالإجابة بل سنفصل القول في ذلك في بابهِ ولكننا نقول بما يناسب المقام: إن الصفة المشبهة لا تطلق إلا إذا اتصف بها صاحبها، فأنت لا تقول: هو ظمآن غداً أو أمس بخلاف اسم الفاعل فإنه يصح فيه ذاك. تقول: هو ظامى غداً أو أمس، قال اللحياني: «فلان غضبان إذا أردت الحال»^(٢).

وجاء في «معاني القرآن» للفراء: «يقال: طمّع إذا وُصِفَ بالطمع، ويقال: هو

(١) «الرضي على الكافية» (٢ / ٢٢٧ - ٢٢٨).

(٢) «لسان العرب» (غضب) (٢ / ١٤١).

طامع أن يصيب منك خيراً. ويقولون: (هو سكران) إذا كان في سكره، وما هو ساكر
عن كثرة الشراب، وهو كريم إذا كان موصوفاً بالكرم، فإن نويت كرمًا يكون منه فيما
يستقبل قلت: كارم^(١).

وعلى هذا لا نرى وجهاً لقول صاحب «المثل السائر»: «تقول منه: فرح زيد فهو
فرحٌ وهو الأحسن، ولا يحسن أن يقال: فارح ولا فرحان وإن كان جائزاً لكن فرحان
أحسن من فارح»^(٢).

والصواب أن الأمر بحسب المعنى فأنت لا تقول: هو فرح أو فرحان غداً أو أمس
بل لا بد أن تقول: هو فارح فيهما.

(١) «معاني القرآن» (٢ / ٧٢).

(٢) «المثل السائر» (١ / ٢٩١).

دلالات أبنية الصفة المشبهة

ليست أبنية الصفة المشبهة ذات دلالات واحدة بل هي مختلفة، لكل بناء منها ما يميزه من غيره. وقد مر بنا قول سيبويه: «والعرب مما يبنون الأشياء إذا تقاربت على بناء واحد»^(١).

وأشهر أبنية الصفة المشبهة ما يأتي:

١ - فَعِل (بفتح الفاء وكسر العين):

ويصاغ من (فَعِل) المكسور العين اللازم للدلالة على الأدواء الباطنة نحو وَجَع ودَوَّ وَحَبِطَ وَعَمَّ مَنْ عَمِيَ قلبه، وأما إذا كان العمى في العين فهو أعمى، وللدلالة على العيوب الباطنة كَلْحَزَ، أي: بخيل، ونَكِدَ وشَكِسَ، وللدلالة على الهيجانات والخفة كَأَشِرَ وَبَطِرَ وفَرِحَ.

وهذا البناء - على العموم - يدل على الأعراض أي عدم الثبوت. وبجملة واحدة نقول: إن هذا الباب يدل على ما يُكره أمره من الأمور الباطنة العارضة في الغالب.

جاء في «شرح الرضي على الشافية»: «اعلم أن قياس نعت ما ماضيه على (فعل) بالكسر من الأدواء الباطنة كالوجع واللوي وما يناسب الأدواء من العيوب الباطنة كالنكد والعسر واللحز ونحو ذلك من الهيجانات والخفة غير حرارة الباطن والامتلاء كالأرج والبطر والأشِر والجذل والفرح والقلق أن يكون على فَعِل»^(٢).

(١) «سيبويه» (٢ / ٢١٧).

(٢) «الرضي على الشافية» (١ / ١٤٣ - ١٤٤).

وجاء فيه أيضاً: «أن (فَعِلَ) لازمه أكثر من مُتَعَدِّيه والغالب في وصفه أن يكون للأعراض من الوجد وما يجري مجراه كحزن وردي وشعث . . . وخزي، ومن الهيج كبطر وفريح»^(١).

وفيه أيضاً: «فَعِلٌ من هذا الباب فيما يدل على الهيجانات والعيوب الباطنة»^(٢).

وفي «البهجة المرضية» أن إتيان الوصف من (فَعِلَ) في الأعراض على فَعِلٍ^(٣). وفي «شرح الشافية» لسيد عبد الله أن بناء الصفة المشبهة من (فَعِلَ) المكسور العين اللازم إن كان بمعنى الأدوية الباطنة وأضدادها على (فَعِلَ) غالباً كَفَرِحَ وتَعِبَ، وَلَحِزَ وهو البخيل الضيق الخلق وهي من العيوب الباطنة لكنها تناسب الأدوية، وبطر من البطر وهو شدة المرح وهو من الهيجانات المناسبة للأدواء^(٤) . . .

وجاء في «كتاب سيبويه»: (هذا باب ما جاء من الأدوية على مثال وَجَعٍ يَوْجَعُ وَجَعاً وهو وَجَعٌ لتقارب المعاني) «وذلك حِطٌ يحِطُ حَبَطاً وهو حِطٌ . . . وقد يجيء الاسم فعلاً نحو: مرض يمرض مرضاً وهو مريض، وقالوا: سَقِمَ يسَقَمُ سَقَمًا وهو سقيم . . . وقالوا: حَزَنَ حَزَنًا وهو حزين جعلوه بمنزلة المرض لأنه داء . . . وعَمِيَ قلبه يعمى عَمًى وهو عَمٍ إنما جعله بلاء أصاب قلبه.

وجاء ما كان من الذعر والخوف على هذا المثال لأنه داء قد وصل إلى فؤاده كما وصل ما ذكرنا إلى بدنه وذلك قولك: فزعتُ فزعاً وهو فزعٌ، وفرق يفرق فرقاً وهو فرقٌ، ووجل يوجل وجلًا وهو وجلٌ، ووجر وجرًا وهو وجرٌ. وقالوا: أوجر فأدخلوا (أفعل) ههنا على فَعِلٍ لأن فَعِلًا وأفعل قد يجتمعان كما يجتمع فَعْلان وفَعِلٌ وذلك قولك: شعثٌ وأشعثٌ، وحذبٌ وأحذبٌ، وجربٌ وأجربٌ، وهما في المعنى نحو من

(١) «الرضي على الشافية» (١ / ٧٢).

(٢) «الرضي على الشافية» (٢ / ١٤٥).

(٣) «البهجة المرضية» للسيوطي (١٣١).

(٤) «شرح الشافية» (٣٦).

الوجع. وقالوا: كَدِرْ وأكدر، وَحِمَقْ وأحمق، وَقَعِسْ وأقعس؛ فأفعل دخل في هذا الباب كما دخل فَعِلَ في أخشن وأكدر وكما دخل فَعِلَ في باب فعلان ويقولون خشن وأخشن...

وجاؤوا بضد ما ذكرنا على بنائه قالوا: أَشِرَ يَأْشُرُ أَشْراً وهو أَشِرٌّ، وَبَطِرَ يَبْطِرُ بَطْراً وهو بَطِرٌ، وَفَرِحَ يَفْرَحُ فَرْحاً وهو فَرِحٌ... وقالوا: سَهَكَ يَسْهَكُ سَهْكَاً وهو سَهِكٌ، وَقَتَمَ قَتْماً وهو قَتَمٌ جعلوه كالداء لأنه عيب...

وقد جاء على فَعِلَ يَفْعَلُ وهو فَعِلٌ أشياء تَقَارَبَتْ معانيها لأن جملتها (هَيِج) وذلك قولهم: أَرَجَ يَأْرَجُ أَرْجاً وهو أَرَجٌ، وإنما أراد تحرك الريح وسطوعها، وَحَمِسَ يَحْمِسُ حمساً وهو حَمِسٌ وذلك حين يهيج ويغضب... وقالوا: سَلَسَ يَسْلُسُ سَلْساً وهو سَلِسٌ، وَقَلِقَ يَقْلِقُ قَلْقاً وهو قَلِقٌ، ونزق ينزق نزقاً وهو نَزِقٌ جعلوا هذا حيث كان خفة وتحركاً مثل الحمس والأرج، ومثله: غَلِقَ غَلْقاً لأنه طيشٌ وخفة...

وقد بنوا أشياء على فَعِلَ يَفْعَلُ فَعَلّاً وهو فَعِلٌ لتقاربها في المعاني وذلك ما تعذر عليك ولم يسهل وذلك عَسِرَ يَعْسِرُ عَسْراً وهو عَسِرٌ، وشَكِسَ يَشْكِسُ شَكْساً وهو شَكِسٌ... وقالوا: لَقِسَ يَلْقِسُ لَقْساً وهو لَقِسٌ، وَلَحِزَ يَلْحِزُ لَحْزاً وهو لَحِزٌ، فلما صارت هذه الأشياء مكروهة عندهم صارت بمنزلة الأوجاع وصار بمنزلة ما رُموا به من الأدوية. وقد قالوا: عَسَرَ الأمرُ وهو عسير، كما قالوا: سَقُمَ وهو سقيم، وقالوا: نَكَدَ ينكد نكداً وهو نَكِذٌ، وقالوا: أَنْكَدَ، كما قالوا: أَجْرَبَ وَجَرِبَ، وقالوا: لَحِجَ يلحج وهو لَحِجٌ لأن معناه قريب من معنى العَسِر^(١).

غير أنني لا أذهب إلى ما ذكره سيبويه من نحو: حَمِقٌ وأحمق وَجَرِبٌ وأجرب أنهما بمعنى واحد، وإن كان أصحاب المعجمات يذهبون إلى ذلك أيضاً وإنما أرى أن لكل منهما معنى وقصدًا، فبناء (فَعِلَ) يختلف عن (أفعل) في جملة أمور منها أنه عَرَضٌ غير ثابت وأن فيه هَيِجاً وأنه فيما يكره من الأمور الباطنة غالباً. وأما (أفعل) فيكون ثابتاً

(١) «سيبويه» (٢ / ٢١٩ - ٢٢٠)، وانظر «المخصص» (١٤ / ١٤٠)، «أدب الكاتب» (٤٦٧).

وأنه في العيوب الظاهرة - كما سنرى - .

فالذي يقول: هو حَمَقٌ جعله بمنزلة الداء ابتلي به صاحبه فبناه على (فعل) لأن الأدواء تُبنى على فعل، ومن يقول (أحمق) جعله من باب الخِلقة نحو: أعمى وأبكم وأن حُمقه ظاهر في أفعاله بحيث أصبح عيباً ظاهراً لا باطناً فبناه على ذلك. ومثله: جَرِبْتُ وأجرب فإن جَرِباً إنما بُني على ذلك لأنه داء وأنه عَرَضٌ، وأما أجرب فإنه أصبح بمنزلة الخِلقة، أي: ثابتاً.

وهكذا القياس في نظائره نحو: شَعِثُ وأشعث وحَدِبُ وأحدب وغيرها.

من هذا العرض لمعاني (فعل) يتضح أن هذا البناء يتسم بالمعاني الآتية:

١ - إنه عَرَضٌ، والمراد بالعَرَضُ هنا المعنى العارض للذات غير الراسخ أو المستقر فيها^(١)، وأنه مما يحصل ويسرع زواله^(٢) كَفَرِحَ وأسِف. جاء في «المخصص»: «العمشُ: سيلان الدمع وضعف العين حتى لا يكاد يبصر: عَمِشَ عَمِشاً فهو أعمش...»

عَمِشَ بصره عَمِشاً فهو غَمِشٌ: أظلم من جوع أو عطش، وكان العَمَشُ سوء البصر يعني وضعاً، وكان الغَمَشُ عَارِضٌ ثم يذهب^(٣).

فبنوا الثابت على (أفعل) وهو أعمش، والعارض وهو غَمِشٌ على (فعل).

وقالوا: زهمت يده زهماً فهي زَهْمَةٌ: صارت فيها رائحة الشحم، وهي من الزبد وَضْرَةٌ، ومن السمك صَبْرَةٌ، ومن الزيت قَنْمَةٌ، ومن العسل عَسَلَةٌ، ومن القند قَنْدَةٌ، ومن الطيب عَطْرَةٌ، ومن الغالية عَيْقَةٌ، ومن الدم ضَرْجَةٌ، ومن الماء بِلَلَةٌ،

(١) «الأشْمُونِي» (٢ / ٣١٣)، «الصَبَان» (٢ / ٣١٣)، وانظر «الرضي على الشافية» (١ / ٧٢)، «البهجة المرضية» (١٣١)، «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» (٢ / ٣٣ - ٣٤). «شرح الألفية» لابن الناظم (١٧٩).

(٢) «شذا العرف» (٧٨).

(٣) «المخصص» (١ / ١٠٤ - ١٠٥).

ومن القار حَلِكَة^(١).

فهذه الصفات كلها أعراض ولذا بنوها على فعل، وهذه الظاهرة عامة في هذا البناء أو تكاد.

٢ - إن هذا البناء يتسم بظاهرة الهَيَج والخفة كقلق وأرج وفرح ومرح وأشر وجذل^(٢).

يقال: رجل نَهَمٌ: إذا كان مفرطاً في شهوة الطعام، ويقال: بَطْنٌ: إذا كان منهوماً نهماً لا يَهْمُهُ إلا بطنه، ويقال: شَحِمَ لَحِمٌ: إذا كان قرماً إلى الشحم واللحم وهو يشتهيها^(٣).

فأنت تلاحظ أن عنصر الهيجان والشهوة بارز في هذا البناء بخلاف بناء (فعليل) مثلاً الذي ليس فيه هذا المعنى كبطين وشحيم ولحيم، فالبطين هو العظيم البطن في صحة، واللحيم الشحيم الذي كثر على جسمه الشحم واللحم^(٤) كسمين.

٣ - إن هذا البناء غالباً فيما يُكره أمره من أوجاع وعيوب باطنة وشدائد وما يعسر أمره أو في المكروهات عموماً.

جاء في «الكتاب»: «وقد بنوا أشياء على فعل يفعل فعلاً وهو فعلٌ لتقاربها في المعاني وذلك ما تعذر عليك ولم يسهل وذلك: عَسِرَ يعسر عسراً وهو عسيرٌ، وشكس يشكس شكساً وهو شكسٌ... فلما صارت هذه الأشياء مكروهة عندهم صارت بمنزلة

(١) «المخصص» (٥ / ٥)، (٥١، ٥٢)، «مبادئ اللغة» للإسكافي (٤٩).

(٢) «سيبويه» (٢ / ٢٢٠)، «شرح الشافية» لسيد عبد الله (٣٦)، «الرضي على الشافية» (١ / ١٤٣ - ١٤٤)، (١٤٤)، (١ / ٧٢)، (٢ / ١٤٥).

(٣) «أدب الكاتب» (٢٥١ - ٢٥٢)، «التلويح في شرح الفصيح» (٣٧ - ٣٨)، «إصلاح المنطق» (٣٥٩)، (٤٠٨)، «المخصص» (٢ / ٢٧)، (٥ / ٤٢)، «تأويل مشكل القرآن» (١٣)، «النوادر» لأبي زيد (٢٠٧)، «تهذيب الألفاظ» (٥٠٥)، «ذيل فصيح ثعلب» (١٠)، «المزهر» (٢ / ٣٠٠).

(٤) «أدب الكاتب» (٢٥١ - ٢٥٢)، «ذيل الفصيح» (١٠)، «تهذيب الألفاظ» (٥٠٥)، «المخصص» (٢ / ٢٧)، (٥ / ٤)، «تأويل مشكل القرآن» (١٣)، «النوادر» (٢٠٧)، «المزهر» (٢ / ٣٠٠).

مواضع الكحل، والكحلاء هي التي تراها مكحولة وإن لم تكحل ومنه :

ليس التَّكْحُلُ في العينين كالكَحَل^(١)

وقيل: الحُلَى: الخِلْقُ الظاهرة كالزَّبِّب والغَمِّم فيعم الألوان والعيوب^(٢).
والمراد بالخلقة الحال الظاهري الذي خُلِقَ عليه الإنسان^(٣) نحو ما مر من الأمثلة
وكالأفوه: وهو الواسع الفم، والأرأس: العظيم الرأس.

وأما ما هو بمنزلة الخلقة فهو وصف حصل له على وجه الثبوت فأصبح كالخلقة
وذلك كالأقطع أي: المقطوع اليد، والأجدع والأخرم والأشرم.

جاء في «شرح الرضي على الشافية»: «وما كان من العيوب الظاهرة كالعَوَر
والعمى ومن الحلى كالسواد والبياض... والصلع أن يكون على (أفعل) ومؤنثه فعلاء
وجمعهما فُعْل. فمن ثم قيل في عمى القلب عَمٍ لكونه باطناً، وفي عمى العين
أعمى... وقد يدخل أفعل على فِعْل قالوا في (وَجَرَّ) أي: خاف، وهو من العيوب
الباطنة فالقياس فِعْل: وَجَرَّ وأوجر ومثله: حَمَقٌ وأحمق.

وكذا يدخل (فِعْل) على (أفعل) في العيوب الظاهرة والحلى نحو: شَعِثُ وأشعث
وحَدِبُ وأحدب وكَدِرَ وأكدر^(٤).

وفي «البهجة المرضية» أن هذا البناء يكون في الخلقة والألوان^(٥). قال سيبويه:

(١) «المغرب في ترتيب المعرب» (٢ / ١٤٤)، «التصريح» (٢ / ٧٨)، «لسان العرب» (كحل) (١٤ / ١٠٣).

(٢) «الرضي على الشافية» (١ / ١٤٨).

(٣) «الصبان» (٢ / ٣١٣).

(٤) «الرضي على الشافية» (١ / ١٤٣ - ١٤٤).

(٥) «البهجة المرضية» (١٣١)، وانظر «فقه اللغة» للثعالبي (٥٥٤)، «الصاحبي» لابن فارس (١٩١ - ١٩٢)، «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» (٢ / ٣٣ - ٣٤)، «شرح ألفية ابن مالك» لابن الناظم (١٧٩)، «الهمع» (٢ / ١٦٩)، «التصريح» (٢ / ٧٨)، «الآشموني» (٢ / ٣١٣)، «المخصص» (١٤ / ١٤٥).

«أما الألوان فإنها تبنى على أفعل . . . وقد يبنى على أفعل ويكون الفعل على فعل يفعل والمصدر فَعَلَ ما كان داء أو عيباً لأن العيب نحو الداء ففعلوا ذلك كما قالوا: أجرب وأنكد وذلك قولهم: عور يعور وهو أعور»^(١).

وفي «شرح الشافية» لسيد عبد الله: «والصفة المشبهة من فعل بكسر العين في الألوان والعيوب الظاهرة والحلى على أفعل للمذكر وفعلاء للمؤنث . . . وإنما يقال أعمى من عمى العين، وأما في عمى القلب فإنما يقال عَمَ لكونه من العيوب الباطنة»^(٢).

من هذا يتضح أن بناء (أفعل) يختص بالصفات الظاهرة مما كان خلقه أو بمنزلتها فالأعسر مثلاً هو الذي يعمل يسراه من العَسَر ولكن (العسير) من العُسَر والقدير من القدرة ولكن (الأقدر): القصير العنق، والقصير معروف ولكن (الأقصر) مَنْ فيه يُنْسَر في العنق من داء لا يستطيع الالتفات، والشريف معروف ولكن (الأشرف): المرتفع الطويل الذي أشرفت وابلته أو المرتفع المنكبين، والمليح من الملاحه و(الأمليح) من المَلَح وهو أشد الزرَق الذي يضربُ إلى البياض وهو لون، والبلید من البلادة وهو معروف، أما (الأبلد) فمن البلدة وهو الذي ليس بمقرون أي نقي ما بين الحاجبين، والصبيح من الصباحة وأما (الأصبح) فهو ما كان لونه قريباً من الأصهب وهو احمرارُ الشعر مع بياض، والفصيح من الفصاحة وأما (الأفصح) فهو الأبيض الذي ليس بشديد البياض وهو لون، والعجوز معروف أما (الأعجز) فهو العظيم العجيزة، والخطيب معروف وهو من الخطابة أما (الأخطب) فهو لونٌ أحمر بكدره، والهادىء معروف وهو من الهدوء أما (الأهدأ) فهو المرتفع الكَتِفِ المَطْمُئِنُّ الصدر، والعليم من العلم وهو معروف أما (الأعلم) فهو المشقوق الشفة العليا^(٣) إلى غير ذلك من النعوت الظاهرة

(١) «سيبويه» (٢ / ٢٢٢).

(٢) «شرح الشافية» (٣٧).

(٣) انظر «المخصص» (١ / ١٥٨، ١٠٠، ١٦٣)، (٢ / ١٩)، «المغرب» للمطرزي (١ / ١٦٩)، «إصلاح المنطق» (٤٠٧)، «ديوان الأدب» (١ / ٦٧)، «مبادئ اللغة» للإسكافي (٨٥)، «الغريب المصنف» =

كالأسمر والأزرق، والأصقع وهو من الطير ما كان على رأسه بياض، والأصلع والأشعر بمعنى الكثير الشعر، والأشفه أي: العظيم الشفة، والأخرس والأبكم والآخرن والأثلغ والألكن والألف والأعم والأشل والأقعس والأخمص والأسعف والأفرق والأقرن والأشرم والأهتم والأجدع، ونحوه مما هو خِلقة أو بمنزلتها من الأوصاف الظاهرة^(١). فبنوا على (أفعل) ما كان ظاهراً للعين من الحلّى.

ثم إن (أفعل) يدل على الثبوت بخلاف (فعل) الذي هو للأعراض جاء في «شذا العرف»: «منها - أي الصفات من باب فرح - ما هو موضوع على البقاء والثبوت وهو دائر بين الألوان والعيوب والحلى كالحمرة والسمرة والحمق والعمى والغيد والهيف»^(٢).

وعلى هذا لا نذهب إلى ما ذكره سيبويه وغيره إلى أن أفعل وفعل قد يتعاوران كوجر وأوجر وحمق وأحمق وشعث وأشعث وكدر وأكدر ونحوها فإن البنائين مختلفان في القصد والمعنى - كما ذكرنا - فإن ما بني منه على (فعل) قد يبنى على إرادة الداء أو الهيج مع إرادة العرض، وأن ما بني منه على (أفعل) بني على إرادة الوصف الظاهر وعلى وجه الثبوت فالكدر من الكدر، والماء الكدر: ما خاضت فيه الدواب وبالت فيه وبعرت^(٣) وأما الأكدر فهو لون، يقال: حمار أكدر وهو الذي في لونه كُدرة^(٤).

وكذا يقال في (وجر) و(أوجر) فإن وَجَرَ بُني على إرادة الداء لأن الخوف أصبح

= (٨، ١٢، ١٣)، «المحكم» (١ / ١٢٩)، «لسان العرب» (بلد)، «لطائف اللغة» (١٦٤).

(١) انظر «المخصص» (١ / ١٣٧ - ١٤٢، ١٥٨ - ١٦٤، ٦٢)، (٢ / ١٢، ١٤، ١٧ - ١٩، ٥٢، ١٠٥،

١١٨، ١١٩)، «المغرب» (١ / ١٦٩)، «إصلاح المنطق» (٤٠٧)، «ديوان الأدب» (١ / ٢٦٧) وما

بعدها، «مبادئ اللغة» (٧٦، ٨٠، ٨٥)، «المحكم» لابن سيده (١ / ٨٣، ٨٩، ٩٠، ٩٢)، «كفاية

المتحفظ» (باب في الحلّى).

(٢) «شذا العرف» (٧٨).

(٣) «ديوان الأدب» (٢٥٢) (مخطوطة).

(٤) «تهذيب الألفاظ» (٥٥٨).

فيه كالداء وإن فيه ظاهرة الهيج النفسي ، وأما (أوجر) فأراه على وجه الثبوت واللزوم كأنه خلقة في صاحبه وأن هذا الخوف لشدة ظهوره في صاحبه أصبح كأنه يُرى بالعين فبني على الأوصاف الظاهرة .

وهكذا نرى أن لكل باب معناه وأنه لا يبنى وصفٌ على باين إلا على إرادة معنيين في الغالب .

٣ - فَعْلَان :

ويدل هذا البناء على الامتلاء والخلو وحرارة الباطن كَرَيَّان وعطشان .

جاء في (شرح الرضي على الشافية) أن (فعلان) «بابه فَعِل يفعل مما يدل على حرارة الباطن والامتلاء»^(١) . وجاء فيه أن «قياس ما كان من الامتلاء كالسكر والري والغرث والشعب أن يكون على فعلان»^(٢) . وذكر أن فَعِلًا «يدخل على فعلان في الامتلاء وحرارة الباطن كَصَدٍ وَصَدِيان وعَطَش وعَطشان . ويدخل أيضاً أفعل على فعلان في المعنى المذكور كأهيم وهيمان وأشيم وشيمان . وقد ينوب فعلان عن فعل كغضبان والقياس غَضِبَ إذ الغضب هيجان»^(٣) .

وجاء في «كتاب سيبويه» : «أما ما كان من الجوع والعطش فإنه أكثر ما يُبنى في الأسماء على فعلان ويكون المصدر الفَعْل ويكون الفعل على فَعِل يفعل وذلك نحو : ظَمِئَ يَظْمَأُ وهو ظَمَانٌ . . . وغرث يغرث غَرْتًا وهو غرثان ، وَعَلِه يَعْلُه عَلَهَا وهو عَلْهَان وهو شدة الغرث والحرص على الأكل . وتقول : عَلِه كما تقول عَجَل ومع هذا قرب معناه من وجع . . .

(١) «الرضي على الشافية» (٢ / ١٤٥) ، وانظر أيضاً «البهجة المرضية» (١٣١) ، «شرح ألفية ابن مالك» لابن الناظم (١٧٩) ، «أدب الكاتب» (٤٦٦) ، «التصريح» (٢ / ٧٨) ، «الأشموني» (٢ / ٣١٣) ، «الهمع» (٢ / ١٦٩) .

(٢) «الرضي على الشافية» (١ / ١٤٣ - ١٤٤) .

(٣) «الرضي على الشافية» (١ / ١٤٦) .

وقالوا: سكران لما كان من الامتلاء جعلوه بمنزلة شبعان ومثل ذلك ملآن... وقالوا: غضبان غضبي، وقالوا: غضب يغضب غضباً جعلوه كعطش يعطش عطشاً وهو عطشان، لأن الغضب يكون في جوفه كما يكون العطش... وقالوا: ثكل يشكل ثكلاً وهو ثكلان وثكلي جعلوه كالعطش لأنه حرارة في الجوف، ومثله لهفان ولهفي، ولهف يلهف لهفاً، وقالوا: حزان حزن لأن غم في جوفه كالثكل لأن الثكل من الحزن... .

وأما جربان وجربي فإنه لما كان بلاء أُصيبوا به بنوه على هذا كما بنوه على أفعال وفعلاء نحو: أجرب وجرباء... وقالوا: حرت تحار حيرة وهو حيران وهي حيرى وهو في المعنى كالسكران لأن كليهما مُرتَجّ عليه^(١).

وجاء في «شرح الشافية» لسيد عبد الله: «وتجيء الصفة المشبهة... بمعنى الجوع والعطش وضدهما كالشبع والري على إعلان نحو: جوعان في الجوع وشبعان في ضد الجوع وعطشان في العطش وريان في ضد العطش، ونحو سكران فإنه لضع الجوع، وغضبان فإنه وإن كان من الهيجانات إلا أن الغضب يلزمه في الأغلب العطش وحرارة الباطن وإنما يقال في عَجَلٍ عَجَلٌ وعَجَلان لاشتغال العجل على الطيش والعطش، فباعتبار الطيش يقال: عَجَلٌ، وباعتبار العطش يقال: عَجَلان»^(٢).

وجاء في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ «وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم... ويقولون: إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى، وقال الزجاج في الغضبان: هو الممتلىء غضباً. ومما طَنَّ على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق، فقلتُ في طريق الطائف لرجل منهم: ما اسم هذا المحمل؟ أردت المحمل العراقي. فقال: أليس ذاك اسمه الشقدف؟ قلت: بلى. هذا اسمه الشقنداف. فزاد في بناء الاسم

(١) «سيويه» (٢ / ٢٢٠ - ٢٢٢).

(٢) «شرح الشافية» (٣٧).

لزيادة المسمى»^(١).

وجاء في «الصاحبي» لابن فارس: «وكل ما كان من الأوصاف أبعد من بنية الفعل فهو أبلغ لأن (الرحمن) أبلغ من (الرحيم) لأننا نقول: (رحم فهو راحم ورحيم) ونقول: قدر فهو قادر وقدير»^(٢).

وفي «الفروق اللغوية»: «وعندنا أن الرحيم مبالغة لعدوله، وأن الرحمن أشد مبالغة لأنه أشد عدولاً، وإذا كان العدول على المبالغة كلما كان أشد عدولاً كان أشد مبالغة»^(٣).

من هذا العرض يتضح أن بناء فعلاّن يتصف بالمعاني الآتية:

١ - الحدوث والطروء، فالعطش في عطشان ليس ثابتاً وكذلك الشبع والجوع والري وإنما يزول.

جاء في «الكليات» لأبي البقاء «الرحمن الرحيم: فعلاّن مبالغة في كثرة الشيء ولا يلزم منه الدوام كغضبان، وفعل لدوام الوصف كظريف فكأنه قال: الكثير الرحمة الدائمها»^(٤).

وجاء في «شذا العرف» أن من الصفات «ما هو في أمور تحصل وتزول لكنها بطينة الزوال كالري والعطش والجوع والشبع»^(٥).

ودلالة هذا البناء على الحدوث بارزة في لغتنا الدارجة تقول: (هو ضعفان) إذا أردت الحدوث، فإذا أردت الثبوت قلت (هو ضعيف) وكذلك سمنان وسمين. ألا ترى

(١) «الكشاف» (١ / ٣٤)، وانظر «تسهيل السبيل» للبكري (الرحمن الرحيم)، «أنوار التنزيل» للبيضاوي (١ / ٦).

(٢) «الصاحبي» (٥٤).

(٣) «الفروق اللغوية» (١٦٠ - ١٦١).

(٤) «الكليات» (١٩٢).

(٥) «شذا العرف» (٧٨).

أنك تقول لصاحبك : أنت ضعفان فإرد عليك أنا منذ نشأتني ضعيف ، وتقول له : أراك طولان ، فيقول : أنا طويل منذ الصغر .

وهذا من أبرز ما يميز صيغة فعلان عن فعيل وهو أمر يفيدنا في تفسير الرحمن الرحيم وغيرهما من الصفات . فإن صيغة (فعالان) تفيد الحدوث والتجدد وصيغة (فعيل) تفيد الثبوت ، فجمع الله سبحانه لذاته الوصفين إذ لو اقتصر على (رحمن) لظنَّ ظانُّ أن هذه صفة طارئة قد تزول كعطشان وريان . ولو اقتصر على (رحيم) لظنَّ أن هذه صفة ثابتة ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجدها إذ قد تمرُّ على الكريم أوقات لا يكرم فيها وقد تمر على الرحيم أوقات كذلك . والله سبحانه متصفٌ بأوصاف الكمال فجمع بينهما حتى يعلم العبد أن صفته الثابتة هي الرحمة وأن رحمته مستمرة متجددة لا تنقطع حتى لا يستبد به الوهم بأن رحمته تعرض ثم تنقطع أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه - سبحانه - فجمع الله كمال الاتصاف بالرحمة لنفسه .

٢ - الامتلاء بالوصف إلى الحد الأقصى ، فالغضبان هو الممتلىء غضباً ، والعطشان هو الممتلىء عطشاً ، والولهان هو الممتلىء ولهاً ، أي : بلغ الحد الأعلى في الوله وقد وصف الله سبحانه موسى عليه السلام في أشد غضبه فقال : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيسَفًا ﴾ [طه : ٨٦] ، أي : ممتلئاً غضباً . قال الزجاج : « الغضبان هو الممتلىء غضباً »^(١) .

وقال السهيلي : « إن الرحمن من أبنية المبالغة كغضبان ونحوه ، وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان في آخره ألف ونون كالتثنية ، فإن التثنية في الحقيقة تضعيف ، وكذلك هذه الصفة فكأن غضبان وسكران كامل لضعفين من الغضب والسكر فكان اللفظ مضارعاً للفظ التثنية لأن التثنية ضعفان في الحقيقة »^(٢) .

وقال ابن القيم : إن في اسم (الرحمن) الذي هو على وزن (فعالان) ما فيه من سعة

(١) «الكشاف» (١ / ٣٤) .

(٢) «بدائع الفوائد» (١ / ٢٣) .

هذا الوصف وثبوت جميع معناه للموصوف به. «ألا ترى أنهم يقولون: غضبان للممتلىء غضباً وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن ملىء بذلك؟ فبناء (فعلان) للسعة والشمول، ولهذا يُقرن استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيراً كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، فاستوى على عرشه باسم الرحمن لأن العرش محيطٌ بالمخلوقات قد وسعها... فاستوى على المخلوقات بأوسع الصفات»^(١).

غير أن هذا الامتلاء بالوصف في (فعلان) أو التشبع بالصفة إلى أبعد حدودها غير ثابت وإنما هو امتلاء طارئ لا يلبث أن يزول فالغضبان لا يبقى كذلك ولا اللفهان أو الغرثان.

٣ - حرارة الباطن: يصحب المتصف بهذا الوصف حرارة الباطن غالباً فالعطشان يكون حار الباطن وكذلك الثكلان والولهان.

إن من يتصف بهذا الوصف تكون في جوفه حرقه واندفاع وظماً في الغالب مع امتلاء بالوصف ولكنه اتصافٌ حادث طارئ لا يلبث أن يزول. فالغضبان ليس هو الغاضب مع زيادة في الصفة فقط وإنما هو الغاضب الممتلىء غضباً مع حرارة جوف واندفاع كأن في جوفه مرجلاً يؤزه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فوصفه بأنه ممتلىء غضباً ثم وصف هدوء غضبه بعد ذلك بقوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَىٰ الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، فكان الغضب كان يصبح بموسى ويهيجه ويلهبه. وكذلك الولهان والثكلان ونحوه.

أما ما يذكره أهل اللغة من أنه قد يدخل فعل أو أفعل على فعلان فإنني لا أراه فإن جريان ليست بمعنى أجرب - كما ذكر سيبويه - إنَّ جربان وصفٌ عارض كما تقول: حصل له الجرب، ونحوه: عطشان وجوعان، أو كما يتحدث الناس اليوم فيقولون: هو كبران أو ضعفان. وأما أجرب فهو على الثبوت، وكذلك أهيم وهيمان فإن في (هيمان)

(١) «التفسير القيم» (٣٣).

من الامتلاء بالوصف وحرارة الباطن وأنها صفة طارئة ما ليس في أهيـم .

وكذلك صَدِّ وصديان وعَطِش وعطشان وولِه وولهان، فإن في صديان وعطشان وولهان من الامتلاء بالوصف وحرارة الباطن ما ليس في صَدِّ وولِه وعَطِش . وإن في وَلِه وأخواتها من معنى الداء ما ليس في ولهان .

وقد أحسن سيد عبد الله في التفريق بين عجل وعجلان فقد ذكر أنه باعتبار الطيش يقال : عجل، وباعتبار العطش يقال : عجلان، أي : أن بناء (فعل) فيه الدلالة على الهيج والخفة و(فعلان) فيه حرارة الباطن فأيهما أردت بنيت على ذلك . وهذا هو القياس .

٤ - فعيل :

ويأتي هذا البناء للدلالة على الثبوت مما هو خلقه أو مكتسب كطويل وقصير وخطيب وفقه . إن هذا الوصف يبنى من (فعل) المضموم العين، وهذا الفعل يدل على الطبائع وعلى التحول في الصفات فمن الأول : قَبِحَ ووَسَمَ وجَمَلَ وقَصُرَ، ومن الثاني : بَلَّغَ وخطب وفقه . فالفعل (قبح) يدل على أن صاحبه قبيح وأن هذا القبح خلقي غير مكتسب وكذا جمل ونحوها .

وأما بَلَّغَ وخطب ونحوها فالتحول في الصفات إلى ما يقرب من الطبع والخلق فمعنى (بَلَّغَ) صار بليغاً، ومعنى خَطَّبَ صار خطيباً أي مارس الخطابة حتى صارت الخطابة سجيةً له في حين أن معنى (خَطَّبَ) بالفتح ألقى خطبة، وكذا تقول : (فَقِهَ محمد المسألة) أي : فهمها، ونقول (فَقِهَ محمد) أي : صار فقيهاً بمعنى أنه مارس الفقه حتى صار الفقه سجية له .

جاء في «شرح الرضي على الشافية» : «قال : وفعل لأفعال الطبائع ونحوها كحسن وقبح وكبر وصغر فمن ثمة كان لازماً . . .

أقول : اعلم أن (فعل) في الأغلب للغرائز أي الأوصاف المخلوقة كالحسن والقبح والوسامة . . . والكبر والصغر . . . وقد يجري غير الغريزة مجراها إذا كان له

لبث ومكث نحو: حلم وبرع وكرم وفحش^(١).

ومن هنا كانت الدلالة على الثبوت في (فعل).

جاء في «الصاحبي»: «وتكون الصفات اللازمة للنفوس على (فعل) نحو: شريف وخفيف وعلى أضدادها نحو: وضع وكبير وصغير^(٢)».

وجاء في «المخصص» في «باب الخصال» التي تكون في الأشياء وأفعالها ومصادرها وما يكون منها فطرة ومكتسباً: «ونبدأ بالتي في الفطرة لفضلها، أما ما كان حسناً أو قبحاً فإنه مما يبنى فعله على فعل يفعل... وتجيء الأسماء على (فعل) وذلك قبيح ووسيم وجميل^(٣). ثم ذكر أن قياس وصفه على فعل أو فعال، وإذا خرج عن هذين البناءين فهو شاذ ليس بالباب ويحفظ حفظاً كبطل وحسن وضخم وجبان وغيرها.

والكثير فعيل وفُعال، وفعل أكثر من فُعال^(٤).

وجاء في «بدائع الفوائد» أن بناء (فعل) من بناء الأوصاف الثابتة اللازمة كطويل وقصير وكريم وعظيم وحليم وجميل وبابه^(٥).

وفي «حاشية يس العليمي على التصريح»: «إن الفقير يحتمل أن يكون صيغة مبالغة، أي: كثير الفقر، وأن يكون صفة مشبهة، أي: دائم الفقر^(٦)».

وفي «التصريح» أن «الفقيه من فقه بالضم هو الذي صار الفقه سجية له^(٧)».

(١) «شرح الرضي على الشافية» (١ / ٧٤).

(٢) «الصاحبي» (١٩١ - ١٩٢).

(٣) «المخصص» (١٤ / ١٤٧ - ١٤٨).

(٤) «المخصص» (١٤ / ١٤٧ - ١٥٠).

(٥) «بدائع الفوائد» (٢ / ٨٨).

(٦) «حاشية يس» (١ / ٣).

(٧) «التصريح» (٢ / ١١٤).

وعلى هذا فأبرز ما يميز هذا البناء هو دلالة على الثبوت وذلك نحو: أسيف وأسيف ونشيط ونَشِط. فأسف على وزن (فعل) وهو يدل على العرض أي عدم الثبوت كما أن فيه الدلالة على الهيج والخفة، قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ ۖ أَسِفًا﴾ [طه: ٨٦]، إن صفة الأسف هنا غير ملازمة لموسى (ع) وإنما هو شيء عَرَضَ له في حين أن أسيفاً تدل على الثبوت، ومنه قول عائشة في وصف أبي بكر (رضي الله عنه): «إن أبا بكر رجل أسيف» أي: حزين، أي: هذه صفته. وكذلك نَشِط ونشيط فنشط أثبت من نشط لأن النشاط من سجيته وطبيعته في حين أن نشطاً يدل على زيادة وصف عرضت له مع دلالة على الاندفاع والهيج والخفة وكذلك عسر وعسير يقال: عَسِرَ عليه الأمرُ فهو عَسِرٌ، وعَسِرُ الأمرُ فهو عسير^(١). فأنت تلاحظ أن (عَسِرًا) وصفٌ نسبي فقد يعسرُ الأمرُ على شخص ولا يعسر على آخر فهو ليس وصفاً ثابتاً. وأما (عسير) فهو من عسر الأمر، أي: أن الأمر نفسه متصف بالعسر فهو دال على الوصف الثابت. وقد مر بنا الفرق بين بَطْن وبطين وشَحِم وشحيم ولَحِم ولحيم مما يغني عن إعادة ذكره. وهذا هو القياس في (فعل).

أما قول صاحب «المثل السائر» أن «جمهور علماء العربية يذهبون إلى أن (عليماً) أبلغ من (عالم) وقد تأملت ذلك وأمعت نظري فحصل عندي شك في الذي ذهبوا إليه، والذي أوجب ذلك الشك هو أن عالماً وعلماً على عدة واحدة إذ كل منهما على أربعة أحرف... والذي يوجب النظر أن يكون الأمر على عكس ما ذكره وذاك أن يكون (عالم) أبلغ من (عليم) وسببه أن عالماً اسم فاعل من علم وهو مُتَعَدٌّ وأن (عليم) اسم فاعل من (علم) إلا أنه أشبه وزن الفعل القاصر نحو: شرف فهو شريف وعظم فهو عظيم، فهذا الوزن لا يكون إلا في الفعل القاصر فلما أشبهه علیم انحط عن رتبة عالم الذي هو متعدّد^(٢)، فلا أراه يقوم على بصر بهذا الشأن، فمن الذي قال إن عدة الحروف

(١) «الصحاح» للجوهري (عسر) (٢ / ٧٤٥).

(٢) «المثل السائر» (٢ / ٦٤).

إذا تساوت في الأبنية المختلفة كانت بمعنى واحد؟ فمن يقول إن خاطباً بمعنى خطيب وإن جائداً بمعنى جواد وضائفاً بمعنى ضيق؟ ثم من يقول إن الوصف من الفعل المتعدي أبلغ من الوصف المصوغ من الفعل القاصر، ومن المعلوم في اللغة أننا إذا أردنا أن نحول الفعل إلى أن يكون سجية في صاحبه جعلناه على (فَعَّل) اللازم فنقول: فَعَّلَهُ محمد المسألة أي: فهمها، فإذا أردنا أن الفقه أصبح سجية فيه قلنا (فَقَّهَ محمد) أي: صار فقيهاً. ونقول: (خَطَبَنَا خالد) أي: ألقى فينا خطبة والوصف منه (خاطب)، فإذا أردنا أن الخطابة أصبحت سجية فيه لكثرة ممارسته لها حُوِّلَ إلى فعل اللازم فقلنا: (خَطَّبَ الرجل) والوصف منه خطيب، وهذا هو القياس.

يتضح مما مر أن فعلياً يدل على الثبوت واللزوم وأن هذه الدلالة هي أبرز ما يميز هذا البناء.

فإذا أردنا أن نبالغ في هذا الوصف حولناه إلى (فُعِّلَ) نحو: طويل وطَوَّال وكبير وكُبَّار وعريض وعُرَّاض، فإذا أفرط في الزيادة قيل: فُعِّلَ ككُبَّار وحُسَّان، قال تعالى: ﴿بَلْ عَجَّبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا نَسْيٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢]، وقال: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فانظر إلى الفرق بين التعبيرين ففي آية (ص) قيل: إن العجب كان أكثر مما في آية (ق) فافتتح الآية بالاستفهام الإنكاري وأكدته بإن واللام وعدل من (عجيب) إلى (عجاب). في آية (ق) كان العجب من مجيء منذر من بينهم، وأما آية (ص) ففيها يُظهر المشركون عجبهم من توحيد الآلهة ونفي الشرك، ولا شك أن عجبهم في الثانية أبلغ وأبلغ لأنهم قوم عريقون في الشرك بل إن الإسلام جاء أول ما جاء ليردهم عن الشرك ويردهم إلى التوحيد.

جاء في «الخصائص»: «في المبالغة لا بد أن تترك موضعاً إلى موضع إما لفظاً إلى لفظ وإما جنساً إلى جنس، فاللفظ كقولك: عُراض فهنا قد تركت لفظ (عريض) فعُراض إذا أبلغ من عريض، وكذلك رجل حُسَّان ووُضَّاء فهو أبلغ من قولك: حسن

ووضي، وكُرَام أبلغ من كريم لأن كريماً على كرم وهو الباب وكرام خارج عن بابه فهذا أشد مبالغة من كريم»^(١).

وجاء في «شرح الرضي على الشافية»: «والظاهر أن فُعْلاً مبالغة فعيل في المعنى، فطُوال أبلغ من طويل، وإذا أردت زيادة المبالغة شددت العين فقلت طُوال»^(٢).

وقال أبو عبيد: «رجل كريم وكُرَام وكُرَام بمعنى واحد وقال: وكُرَام بالتخفيف أبلغ في الوصف وأكثر من كريم، وكُرَام بالتشديد أبلغ من كُرَام، ومثله: ظريف وظُرَاف وظُرَاف»^(٣).

وقال صاحب العين: «بين العجيب والعُجاب فرق، أما العجيب فالعجب يكون مثله وأما العُجاب فالذي تجاوز حد العجب»^(٤).

وقال الفخر الرازي في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرَآءٌ كَبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢]: «وهو مبالغة في الكبير، فأول المراتب: الكبير والأوسط الكُبار بالتخفيف والنهاية الكُبَّار بالثقل، ونظيره: جميل وجُمَال وجُمَال، وعظيم وعُظَام وعُظَام، وطويل وطُوال وطُوال»^(٥).

وقال ابن القيم: «وتأمل قولهم: طَالَ الشيء فهو طويل، وكبر فهو كبير، فإن زاد طوله وكبره قالوا: طُوال وكُبَّار، فأتوا بالألف التي هي أكثر مدأً وأطول من الياء... فإن زاد كبر الشيء وثقل موقعه من النفوس ثقلوا اسمه فقالوا: كُبَّار بشد الباء»^(٦).

(١) «الخصائص» (٣ / ٤٦)، وانظر (٣ / ٢٦٧ - ٢٦٨).

(٢) «الرضي على الشافية» (٢ / ١٣٦).

(٣) «لسان العرب» (كرم) (١٥ / ٤١٥).

(٤) «لسان العرب» (عجب) (٢ / ٧٠)، وانظر «المخصص» (١٢ / ١٤٧).

(٥) «تفسير الرازي» (٣٠ / ١٤٢).

(٦) «التفسير القيم» (٢٠٨).

وفي «المخصص»: رجل طويل وطوال، فإذا أفرط في الطول قالوا: طُوَال^(١).
وقيل: إن ذلك قياس إذ كل فعليل يجوز فيه ثلاث لغات: فُعال وفُعَال^(٢)، وقيل: بل هو
كثير^(٣).

٥ - بقي قسم من الصفات مسموعاً غير مقيس كفُعَل نحو: حر وصلب، وفَعَل
نحو: فخم وضخم، وفَعَل نحو: حسن وبطل، وفُعال نحو: جبان وجواد وفِعال
نحو: هجان وكناز وأغلبها مصوغ من (فَعَل) الذي قياسه على (فعليل) وهي تؤدي ما
تؤديه فعليل من الدلالة على الثبوت، غير أن الذي يؤدي إليه النظر أن (فُعَالاً) بضم الفاء
أبلغ من (فِعال) بالكسر، و(فِعال) أبلغ من (فُعال) بالفتح وذلك لأن الضمة أقوى من
الكسرة والكسرة أقوى من الفتحة.

ومما يدل على أن الضمة أقوى الحركات ما يلي:

١ - المغالبة: ومعنى المغالبة أن يغلب أحد الأمرين الآخر في معنى المصدر^(٤).
ويكون فعل المغالبة مضموم العين في المضارع وإن كان أصله غير مضموم تقول:
غلبَ يغلب بكسر العين في المضارع فإذا جعلته للمغالبة قلت: غالبني فغلبته فأنا أغلبه
- بالضم -. وتقول: سبق يسبق بكسر العين فإذا جعلته للمغالبة قلت: سابقتني فسبقته
فأنا أسبقه، وخاصمني فخصمته فأنا أخصمه بالضم.

٢ - التحول في الصفات: ويكون على (فَعَل) بضم العين أيضاً، ومعنى التحول
في الصفات أن تتحول الصفة لتفيد الثبوت في صاحبها أو على وجه قريب من الثبوت
كما في خَطَب وخطب، وبلغ وبلغ، وصلح وصلح. فخطب أبلغ من خطب وكذا بلغ
وصلح.

(١) «المخصص» (٢ / ٦٥)، وانظر أيضاً (١٥ / ٨٨)، «الخصائص» (٣ / ٢٦٦)، «الكليات» (٣٠٨)،

«المزهر» (١ / ٣٣٢).

(٢) «المزهر» (٢ / ٨٣)، «ضوابط الفنون» (المتفرقات).

(٣) «الرضي على الشافية» (١ / ١٤٨).

(٤) «الرضي على الشافية» (١ / ٧٠).

ثم إن أفعال السجايا والغرائز هي في الغالب مما يكون عينه مضمومة في الماضي نحو: قُبِحَ وحُسِّنَ وبُطِّلَ وشُجِعَ وعُظِمَ.

٣ - التحويل لقصد المدح والذم: إذا أردنا جعل الفعل الثلاثي للمدح أو الذم حولناه إلى (فعل) بضم العين أياً كانت حركة عينه في الأصل فيشبهه عند ذاك نعم وبشر ويكون له ما لهما من الأحكام^(١) تقول: فهم الرجل المسألة بالكسر، فإذا أردت مدحه بالفهم قلت: فهم الرجل خالداً. وتقول: (حفظ خالد القصيدة) فإذا مدحته بالحفظ قلت (حفظ الرجل خالد). وتقول: (سبق سعيد) فإذا أثبتت عليه بالسبق قلت: (سبق الفتى سعيد).

٤ - التحويل للتعجب: للتعجب صيغتان مشهورتان: ما أفعله وأفعل به نحو: ما أكرمه وأكرم به. ويجوز أن تحول كل فعل ثلاثي يصح التعجب منه إلى صيغة (فعل) بضم العين لقصد التعجب^(٢) تقول: (فهم محمد) بالكسر، فإذا تعجبت من فهمه قلت: (فهم محمد)، وتقول: (كتب سالم) فإذا تعجبت من كتابته قلت: (كتب سالم)، وتقول: (نسي محمود) فإذا تعجبت من نسيانه قلت: (نسو محمود).

٥ - المرويات اللغوية: إن المرويات اللغوية تدل في أكثر الأحيان على أن الضمة أقوى من غيرها، قال ابن جني: «الدّل في الدابة ضد الصعوبة، والدّل للإنسان وهو ضد العز، وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة واختاروا الضمة لقوتها للإنسان والكسرة لضعفها للدابة.

ولا تستنكر مثل هذا ولا تنب عنه فإن مَنْ عرف أنسَ ومن جهل استوحش، وقد مر بنا من مثل هذا ما لا يحصى كثرة.

ومن ذلك قولهم: حلا الشيء في فمي يحلو، وحلي بعيني، فاختراروا البناء

(١) انظر «ابن عقيل» (٢ / ١٦٨)، «التصريح» (٢ / ٩٨).

(٢) «التصريح» (٢ / ٨٩).

للفعل على فَعَلَ فيما كان لحاسة الذوق لتظهر فيه الواو . وعلى فِعَلَ في حَلِي يحلّى
لتظهر الياء والألف وهما خفيفتان ضعيفتان إلى الواو لأن حصة الناظر أضعف من حس
الذوق بالفم .

وقالوا أيضاً: جُمَام المَكُوك دَقِيقاً وجُمَام القَدَح ماء ، وذلك لأن الماء لا يصح أن
يعلو على رأس القَدَح كما يعلو الدقيق ونحوه على رأس المَكُوك فجعلوا الضمة لقوتها
فيما يكثر حجمه والكسرة لضعفها فيما يقل بل يعدم ارتفاعه^(١) .

وجاء في «لسان العرب»: «وقال الفراء: عندي جُمَام القَدَح ماء بالكسر أي:
ملؤه، وجُمَام المَكُوك دَقِيقاً بالضم، وجُمَام الفرس بالفتح لا غير . ولا يقال جُمَام
بالضم إلا في الدقيق وأشباهه وهو ما علا رأسه بعد الامتلاء»^(٢) .

٦ - قد يعدل من صيغة إلى صيغة للتمييز بين معنيين كقولهم: رجل سَكَّت
وسَكَّت، جعلوا السَكَّت للكثير السكوت والسَكَّت للقليل الكلام فإذا تكلم أحسن^(٣) .
ونحو: حصين وحصان، جاء في «المخصص»: قال سيبويه: «امرأة حَصَان على نحو
قولهم: بناء حصين في المعنى، أرادوا أن يخبروا أن البناء محرزٌ لمن لجأ إليه وأن
المرأة محرزة لفرجها وخالفوا فيه بين البنائين . . . وكذلك قالوا: فرس حَصَان لأنه
محرزٌ لفارسه . . . وقال سيبويه أيضاً: الرزين من الحجارة والحديد، والمرأة رزان
فرقوا بين ما يُحْمَل وبين ما ثَقُل في مجلسه فلم يخف . . .

وقال أبو علي: القول في الثَقَال والثَقِيل كالقول في الرِّزَان والرِّزِين»^(٤) .

وجاء في «لسان العرب»: «تقول: ثَقُل الشيء ثَقْلاً وثِقَالاً فهو ثَقِيل . . . وامرأة
ثَقَال مكفال وثَقَال رَزَان ذات مآكم وكفل على التفرقة، فرقوا بين ما يحْمَل وبين ما ثَقُل

(١) «المحتسب» (٢ / ١٨ - ١٩) .

(٢) «لسان العرب» (ج ٤ / ٣٧٣) .

(٣) «لسان العرب» (سكت) (٢ / ٣٤٨) .

(٤) «المخصص» (ج ٤ / ٤ - ٥)، وانظر «لسان العرب» (١٦ / ٢٧٧) (حصن) .

في مجلسه فلم يخف^(١).

وجاء فيه أيضاً: «الرزين من كل شيء ورجل رزين ساكن... وشيء رزين، أي: ثقیل... ويقال: شيء رزين وقد رزنته بيدي: إذا ثقلته، وامرأة رزان: إذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف وكانت رزينة في مجلسها»^(٢).

والذي يبدو أنهم جعلوا فعلاً للمعاني وفعيلاً لما عمّ في الغالب.

وقيل: وربما تعاورت الصيغتان فقليل: فعيل وفعال كقولهم: رجل شحاح وشحيح، وكهام وكهيم للذي لا غناء عنده، ويقال: صحاح الأديم وصحيح، وعقام وعقيم، وبجال وبجيل^(٣).

وهذا - كما نرى - ليس من باب التعاور وإنما هو عدول من فعيل إلى فعال لزيادة الوصف، فإننا نرى أن فعلاً أبلغ من فعيل في الوصف لزيادة مدة الألف على مدة الياء ولخروج فعال عن بابه فإن الباب (فعيل) وهو القياس، والخروج عن الباب يكون للمبالغة في الوصف^(٤) - كما أسلفنا -.

(١) «لسان العرب» (١٣ / ٩٠) (ثقل).

(٢) «لسان العرب» (١٧ / ٣٨) (رزن).

(٣) «المخصص» (١٥ / ٨٧).

(٤) «الخصائص» (٣ / ٤٦).

أبنية المبالغة

من المعلوم أن في العربية أوزاناً عديدة للمبالغة كفعّال نحو: تَوَّاب، ومِفْعَال نحو: منْحَار، وفَعُول نحو: غَفُور، وفَعِل نحو: حَذِر، وفاعول نحو: فاروق وغيرها، فهل تؤدي هذه الأبنية المختلفة معنى واحداً في المبالغة؟ هل معنى غَفَّار وغفور وصَبَّار وصبور وكَفَّار وكفور واحد مثلاً؟ وهل معنى هَمَّاز وهُمَّزة وهموز، وضَحَّاك وضحك وضُحَّكة، ومنْحَار ونَحَّار واحد؟

لماذا إذن اختلفت الصيغ ولماذا جاء القرآن بصيغ مختلفة فاستعمل مثلاً غَفَّاراً وغفورا وكَفَّاراً وكفورا وهمازاً وهُمَّزة؟

قال تعالى: ﴿وَلِيَّ لَغَفَّارٍ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، وقال: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج: ١٤].

وقال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، وقال: ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: ١٧].

وقال: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّامٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وقال: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هُمْزٍ لُّمَزَةً﴾ [الهمزة: ١].

قال أبو هلال العسكري: «فأما في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن كثير من النحويين واللغويين»^(١).

(١) «الفروق اللغوية» (١٢ - ١٣).

وقال: «من لا يتحقق المعاني يظن أن ذلك كله يفيد المبالغة فقط وليس الأمر كذلك، بل هي مع إفادتها المبالغة تفيد المعاني التي ذكرناها»^(١).

وجاء في «كشف الطرة» أن «الأصل في مباني الأفاعيل ملاحظة حفظ المعاني التي تتميز باختلاف الصيغ»^(٢).

وقال الصبان: إن المبالغة تفيد التنصيص على كثرة المعنى كمّا أو كيفاً ولكن هل هي مستوية في المعنى أو متفاوتة بأن تكون الكثرة المستفادة من فعّال مثلاً أشد من الكثرة المستفادة من فعول مثلاً، لم أر في ذلك نقلاً. وقد يؤخذ من قولهم: زيادة البناء تدل على زيادة المعنى أبلغيةً فعّال ومفعال على فعول وفعل وأبلغية هذين على (فعل) فتدبر^(٣).

إن أبنية المبالغة على ضربين:

منها ما يختلف عن الآخر لتأدية معنى جديد نحو قولهم: رجل ذُعره، أي: ذو عيوب، وامرأة ذعور تُذعر من الريبة والكلام القبيح^(٤). ونحو: الضحّاك والضُحكة، فالضحّاك مدح والضحكة ذم^(٥).

جاء في «لسان العرب»: «الضُحكة: الرجل الكثير الضحك يُعاب عليه»^(٦) وقال الراغب: «رجل ضُحكة يضحك من الناس»^(٧). ونحو: رجلٌ نومةٌ ونؤوم، فالنومة: الخامل الذكر، والنؤوم: الكثير النوم^(٨).

(١) «الفروق اللغوية» (١٣).

(٢) «كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠).

(٣) «حاشية الصبان على شرح الأشموني» (٢ / ٢٩٦).

(٤) «المحكم» (٢ / ٥٦).

(٥) «المخصص» (٢ / ١٤٤).

(٦) «لسان العرب» (ضحك).

(٧) «مفردات الراغب» (٢٩٢).

(٨) «المخصص» (٣ / ٩٤)، «لسان العرب» (نوم).

ومنها ما تدل صيغته على معنى في المبالغة يختلف عن الصيغة الأخرى، فمعنى
فَعَال يختلف عن فَعُول في المبالغة وهما يختلفان عن مفعال وهكذا.

وأشهر أبنية المبالغة هي :

١ - فَعَال :

نحو: كَذَّاب وكَفَّار، جاء في «كشف الطرة» أن الشيء إذا كُرِّر فعله بُني على
فَعَال^(١)، وفي «الفروق اللغوية» أنه «إذا فعل الفعل وقتاً بعد وقت قيل : فَعَال مثل : علام
وصبار»^(٢). وادعى أبو بكر بن طلحة في «بغية الأمل في شرح الجمل» أن فَعَالاً لمن
صار له صناعة^(٣).

وقيل هو العكس، أي: أن فَعَالاً في المبالغة أصل لفَعَال في الصناعة.

جاء في «المقتضب»: (هذا باب ما يُبنى عليه الاسم لمعنى الصناعة لتدل من
النسب على ما تدل عليه الياء) «وذلك قولك لصاحب الثياب: ثَوَّاب، ولصاحب
العطر: عَطَّار، ولصاحب البزّ: بَزَّاز.

وإنما أصل هذا لتكرير الفعل كقولك: هذا رجل ضَرَّاب، ورجل قَتَّال أي: يكثر
منه، وكذلك خياط، فلما كانت الصناعة كثيرة المعاناة للصنف فعلوا به ذلك وإن لم
يكن منه فعل نحو: بَزَّاز وعطار»^(٤).

وجاء في «شرح الرضي على الشافية»: «اعلم أنه يجيء بعض ما هو على فَعَال
وفاعل بمعنى ذي كذا من غير أن يكون اسم فاعل أو مبالغة فيه . . . إلا أن فَعَالاً لما كان
في الأصل لمبالغة الفاعل ففَعَال الذي بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء
يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه إما من جهة البيع كبقَّال، أو من

(١) «كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠)، وانظر «درة الغواص» (٨٩).

(٢) «الفروق اللغوية» (١٢ - ١٣).

(٣) «معجم الهوامع» (٢ / ٩٧)، و«كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠).

(٤) «المقتضب» (٣ / ١٦٦).

جهة القيام بحاله كالجمال والبغال، أو باستعماله كالسيّاف أو غير ذلك»^(١).

وجاء في «المخصص»: «والباب فيما كان صنعة ومعالجة أن يجيء على فعّال لأن فعّالاً لتكثير الفعل وصاحب الصنعة مداوم لصنعتة فجعل له البناء الدال على التكثير كالبرّاز والعطّار وغير ذلك مما لا يحصى كثرة»^(٢).

ونحن نذهب مذهب ابن طلحة فنرى أن فعّالاً في المبالغة منقول عن فعّال في الصنعة لأننا نرى أن الأصل في المبالغة هو النقل من شيء إلى آخر فتحصل عند ذاك المبالغة.

قال ابن جني: «في المبالغة لا بد أن تترك موضعاً إلى موضع لفظاً إلى لفظ وإما جنساً إلى جنس»^(٣).

ومن المعلوم أن العرب تنسب إلى الحرف والصنعة بصيغة فعّال غالباً كالفرّاء والرفّاء والنساج والنقّاض والنجار والوشّاء والدّباج، والطباع: الذي يطبع السيوف، أي: يعملها، والفتّال والخزاف والخراط والنحاس والصفار والزراد والحداد والقواس والريّاش^(٤)، والشحّام: الذي يبيع الشحم، واللّحام: الذي يبيع اللحم، والتّمّار: الذي يبيع التمر^(٥).

قال ابن يعيش: «وإن كان شيء من هذه الأشياء صنعة ومعاشاً يداومها صاحبها نُسب على فعّال، فيقال لمن يبيع اللبن والتمر لبّان وتّمّار، ولمن يرمي بالنبل نبّال»^(٦).
والنّجار للذي حرفته النجارة والعطار والنقاش وغيره فنقل هذا البناء إلى المبالغة،

(١) «الرضي على الشافية» (٢ / ٨٤ - ٨٥).

(٢) «المخصص» (١٥ / ٦٩)، وانظر «ابن يعيش» (٦ / ١٣).

(٣) «الخصائص» (٣ / ٤٦).

(٤) «مبادئ اللغة» للإسكافي (١١٩ - ١٢٠).

(٥) «المخصص» (٥ ص ٤)، «إصلاح المنطق» (٣٥٩)، «أدب الكاتب» (٢٥١ - ٢٥٢)، «المزهر» (٢ / ٣٠٠).

(٦) «ابن يعيش» (٦ / ١٣).

فعندما تقول (هو كذاب) كان المعنى كأنما هو شخص حِرَفْتُهُ الكذب كالنجار الذي حِرَفْتُهُ النجارة، وعندما تقول: (هو صَبَّار) كأنما هو شخص حِرَفْتُهُ وصنعتُهُ الصبر.

جاء في «تفسير الرازي» في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]: (فكأن هذا هو حِرَفْتُهُ وصناعتُهُ)^(١).

وهذا البناء يقتضي المزاولة والتجديد لأن صاحب الصنعة مداوم على صنعتِهِ ملازم لها^(٢) فعندما تقول: (هو كذاب) كان المعنى كأنما هو شخص حِرَفْتُهُ الكذب وهو مداوم على هذه الصنعة كثير المعاناة لها مستمر على ذلك لم ينقطع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤] أي: أنه مستمر على ذلك يزاوله ويعانيه ويجدده.

جاء في «تفسير الرازي» في قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، «واعلم أن قوله: لوامة ينبئ عن التكرار والإعادة، وكذا القول في لوام وغدار وضرار»^(٣) أي: أنها تُحدثُ لوماً كلما أحدثَ صاحبها فعلاً يوجب اللوم.

وجاء في «الكشاف»: «الأَوَابُ وهو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته ومن عادته أن يكثر ذكرَ الله ويديم تسبيحه وتقديسه»^(٤).

وعلى هذا فصيغة (فعال) تدل على الحرفة والصناعة وتقتضي الاستمرار والتكرار، والإعادة والتجديد، والمعاناة والملازمة، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ [المعارج: ١٥ - ١٦]، جاء بها على فعال ولم يقل (نزوعاً) لأنها - والله أعلم - تفيد الاستمرار والتجديد والتكرار وهو موافق لقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ

(١) «التفسير الكبير» (ج ٣٠ ص ١٣٨).

(٢) «ابن يعيش» (٦ / ٣)، «الرضي على الشافعية» (٢ / ٨٤ - ٨٥)، «المقتضب» (٣ / ١٦١)، «المخصص» (١٥ / ٦٩).

(٣) «التفسير الكبير» (٣٠ / ٢١٦).

(٤) «الكشاف» (ج ٣ ص ٧).

بَدَّلْتَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ» [النساء: ٥٦].

٢ - مفعال ومفعيل :

ذكر اللغويون أن مفعالاً لمن اعتاد الفعل أو دام منه .

جاء في «ديوان الأدب» أنه «إذا كان الاسم على مفعال أو مفعيل فالجمع على مفاعيل وهما لمن دام منه الفعل»^(١).

وجاء في «أدب الكاتب» أن مفعالاً «يكون لمن دام منه الشيء أو جرى على عادة فيه، تقول: رجلٌ مضحك ومهذار ومِطلاق: إذا كان مديماً للضحك والهذر والطلاق»^(٢).

وفي «فقه اللغة» للثعالبي أن «أكثر العادات في الاستكثار على مفعال»^(٣). وفي «الفروق اللغوية» أن مفعالاً يبنى لمن كان ذلك عادة له^(٤).

وقالوا: ناقةٍ مُمغار: إذا كان من عادتها أن يحمر لبنها من داء، والمِمرراض الكثير المرض، ويقال: ناقةٍ مخراط: إذا كان من عادتها الإخراط وهو أن يخرج لبنها منعقداً كأنه منقطع الأوتار^(٥). والعاطل مَنْ لم يكن عليه حُلَى فإذا كان ذلك لها عادة فهي مِعطال، وقالوا: هي مِثْناث: إذا كان من عادتها أن تضع الإناث، وكذلك مِذْكار: إذا كان من عادتها أن تضع الذكور، ومِخْماق من عادتها أن تلد الحَمْقى^(٦).

وكذلك (مفعيل) فقد ذهبوا إلى أنه يكون لمن دام منه الفعل كما مر في «ديوان

(١) «ديوان الأدب» (١ / ٨٣)، وانظر (١ / ٣١٢).

(٢) «أدب الكاتب» (٢٥٥).

(٣) «فقه اللغة» (٥٥٥).

(٤) «الفروق اللغوية» (١٢ - ١٣)، «كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠).

(٥) «ديوان الأدب» (١ / ٣١١)، «المخصص» (٤ / ٤٢)، «المزهر» (٢ / ٢١٥).

(٦) «المخصص» (٤ / ٤٢)، «الأمالي» لأبي علي القالي (١ / ٢١)، «أدب الكاتب» (٢٥٥)، «الصاحبي» (١٩٠ - ١٩١)، «المزهر» (٢ / ٣١٥).

الأدب»^(١). وجاء في «الكشاف»: (المسكين): «الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر»^(٢).

وذهب ابن طلحة في «بغية الأمل» إلى أن مفعلاً لمن صار له كالألة^(٣).

وفي «الكليات» أن مفعلاً لمن اعتاد الفعل حتى صار له كالألة^(٤).

ونحن نذهب إلى هذا المذهب أيضاً لأن الأصل في المبالغة النقل كما ذكرنا. فالأصل في (مفعال) أن يكون للألة كالمفتاح وهو آلة الفتح، والمنشار وهو آلة النشر، والمحراث وهو آلة الحرث، فاستعير إلى المبالغة فعندما تقول: (هو مهذار) كان المعنى أنه كأنه آلة للهدر، وحين تقول: (هي معطار) كان المعنى أنها آلة للعطر وهكذا.

ومما يُستأنس به في ذلك أنه لا يقبل التأنيث ولا يُجمع جمع مذكر سالماً لمحاً للأصل، فكما لا تقول: مفتاح ولا منشار لا تقول: معطارة ولا مهذار، ولا يجمع جمع مذكر سالماً وإنما يجمع جمع الآلة فتقول: المهاذير والمعاطير جمع مهذار ومعطار، كالمفاتيح والمناشير جمع مفتاح ومنشار.

ومفعيل أصله مفعال غير أنهم نحوه به منحي الإمالة التامة المؤدية إلى الإبدال كالمعطير للمعطار^(٥).

٣ - مَفْعَل :

وهو كالمفعال في الدلالة على الآلة. وكل مفعل - كما ذهب الخليل - مقصور عن مفعال ولذلك صَحَّت العينُ من مفعل إذا كانت واواً أو ياء نحو: مَجُوب ومَخِيط

(١) «ديوان الأدب» (١ / ٨٣)، وانظر (١ / ٣١٢).

(٢) «الكشاف» (١ / ٢٥٢).

(٣) «معجم الهوامع» (٢ / ٩٧)، «كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠).

(٤) «الكليات» (٣٩٨).

(٥) «دراسات في فلسفة النحو والصرف» للدكتور مصطفى جواد (١٨٢).

لأنه في نية مجواب ومخياط^(١) فلم تُعلَّ الواو أو الياء لأن ما بعدهما حرف ساكن .

وهو في المبالغة كمفعال استعير من (مفعل) في الآلة .

قال أبو هلال العسكري : «قالوا : فإذا كان الرجل عدة للشيء قيل فيه (مفعل) مثل مِرْجَمٍ وَمِخْرَبٍ»^(٢) . وجاء في «كشف الطرة» أنه من كان آلة للفعل وعدة له فعلى مفعل أو مفعال^(٣) .

فالأصل في (مفعل) أن يكون للآلة نحو : مِبْرَدٍ وَمِسَنٍّ ، ثم استعير إلى المبالغة فإذا قالوا : (هو مِقُول) كان معناه : هو آلة للقول ، وكذا مِكرَرٌ أي : هو آلة للكرِّ ، قال الزوزني في قول امرئ القيس :

مِكرَرٌ مِفَرٌّ مدبرٍ مقبلٍ معاً كجلمودٍ صخرٍ حطَّه السيلُ من علٍ

و«المِكرَرُ مفعل من كَرَّرَ يكرِّرُ، ومفعل يتضمن مبالغة كقولهم : فلان مسعر حرب ، وفلان مقول ومصقع ، وإنما جعلوه متضمناً مبالغة لأن مفعلاً قد يكون من أسماء الأدوات نحو : المِغُول والمِكتَل والمِخْرَز فجعل كأنه أداة للكر»^(٤) .

وقال الراغب : «رجل محرب كأنه آلة في الحرب»^(٥) .

وقال الدكتور مصطفى جواد : «وقد بعثت الحاجة الملحة على استعارة المفعل والمفعال للمبالغة في صفة الموصوف الذي تناهت صفته في الفعل المشتقة منه الآلة والأداة كاشتقاقهم من سَعَرَ فلانُ النارَ (فلان مسعر حرب) قال زيد الخيل :

وقومي رؤوسُ الناس والرأسُ قائد إذا الحربُ شنتها الأكفُ المساعر

(١) «المخصص» (١٤ / ١٩٩) ، (٢ / ١٢٤) ، «المحكم» (١ / ١٠) .

(٢) «الفروق اللغوية» (١٢ - ١٣) .

(٣) «كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠) ، وانظر «درة الغواص» (٨٩) .

(٤) «شرح المعلقات السبع» للزوزني طبعة إيرانية (ص ٢٢) .

(٥) «مفردات الراغب» (١١٢) (حرب) .

يعني أصحاب الأكف، أو وصف الأكف بأنها مساعر حرب تشبيهاً لها بالأدوات على سبيل المبالغة، وقد أراد أن اليد أو الكف بلغت من شدة تأريثها لنار الحرب أنها أصبحت كالألة في التأثير والتأجيج والتهيج. فمفعّل هو في أصله اسم آلة وأداة استعير للمبالغة استعارة انتفاع لا انتزاع فليس هو بصيغة مبالغة من اسم الفاعل كما قال الصرفيون - رحمهم الله تعالى - ولو كان كما قالوا لَجُمع جمع مذكرٍ سالماً كسائر صفات المذكر العاقل الخالية من التاء... وكما استعارت العرب وزن (مفعّل) للمبالغة كذلك استعارت وزن (مفعّل) لها كالمعمار والمكسال وحاله في الاستعارة كحال مفعّل^(١).

٤ - فَعُول :

ذكر الفارابي في «ديوان الأدب» أن فعولاً لمن دام منه الفعل^(٢) وقال ابن طلحة: إنه لمن كَثُرَ منه الفعل^(٣)، وقال آخرون: هو لمن كان قوياً على الفعل^(٤).

ونحن مع مَنْ يرى أن هذا البناء في المبالغة منقول من أسماء الذوات فإن اسم الشيء الذي يُفعل به يكون على (فعول) غالباً كالْوَضوء والْوَقود والسَّحور والغَسول والبَّخور، فالْوَضوء هو الماء الذي يَتَوَضأ به، والْوَقود هو ما تُوقَدُ به النار، والسحور لما يُسحر به، وكذا الفَطور لما يُفطر عليه، والغسول ما يغسل به، والسجور ما يسجر به التنور^(٥).

وكذا أكثر الأدوية تبنى على (فَعُول)^(٦) كاللَّعوق والسَّعوط والسَّفوف والتَّشوق

(١) «دراسات في فلسفة النحو والصرف» (١٨٢).

(٢) «ديوان الأدب» (١ / ٨٥).

(٣) «الهمع» (٢ / ٩٧)، «كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠)، وانظر «الكليات» (٣٩٨).

(٤) «الفروق اللغوية» (١٢ - ١٣)، «كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠)، «درة الغواص» (٨٩).

(٥) «ديوان الأدب» (٨، ١٢٩)، «المخصص» (٤ / ١٢)، «لسان العرب» (١ / ١٨٩) (وضاً)، «شرح

الرضي على الشافية» (١ / ١٦٢).

(٦) الطريف في هذا البناء أعني بناء (فعول) في الأدوية أنه يقابل بناء (فعال) الذي يكون للأدواء غالباً - كما =

والبرود أي: الكحل^(١).

ومن هنا استعير البناء إلى المبالغة فعندما تقول (هو صَبُور) كان المعنى أنه كأنه مادة تستنفد في الصبر وتفنى فيه كالوقود الذي يستهلك في الاتقاد ويفنى فيه، وكالوضوء الذي يستنفد في الوضوء، وكذا حين تقول: (هو شَكُور) كأنه مادة معدة للشكر تستهلك فيه، ولذا قال تعالى: - واللّه أعلم - ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وحين تقول: (هو جَزُوع) كان المعنى أنه ذات تستهلك في الجزع، وكذا الغفور أي: كله مغفرة وهكذا.

ومما يستأنس به في ذلك أنه لا يؤنث ولا يجمع جمع مذكر سالماً مراعاة للأصل الذي نقل عنه.

٥ - فاعول:

لم أعلم أن النحاة ذكروا له دلالة خاصة به، والذي نذهب إليه أن (فاعولاً) في المبالغة منقول أيضاً وليس أصلاً في المبالغة وهو مستعار من (فاعول) في الآلة لأن هذا البناء هو من أبنية أسماء الآلة ويستعمل فيها كثيراً كالساطر وهو من أدوات الجزار، والصاقور وهي فأس عظيمة تكسر بها الحجارة، والناعور وهو جناح الرحى أو آلة السقي، والناقور ما ينقر فيه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، والناقوس، والخابطوف شبه المنجل، والخابول: الحبل الذي يصعد به النخل، والناجود: وهو كل إناء يجعل فيه الشراب وغيره^(٢).

= مر ذكره - كالضُداق والزكام فالفتحة في (فعول) تقابل الضمة في (فعال) والواو تقابل الألف فهو مقابل لبناء الداء لأنه ضده وهو بناء يدل على طرافة، فإنه إن كان مقصوداً فهو واضح الطرافة وإن كان من الموافقات فهو موافقة طريفة أيضاً.

(١) «فقه اللغة» للثعالبي (٥٥٥)، «ديوان الأدب» (١٢٩)، «المخصص» (٥ / ١٠١ - ١٠٢)، «الكليات» (٣٩٩).

(٢) «ديوان الأدب» (١٢١ - ١٢٢)، «مجالس ثعلب» (٢ / ٤٨٥)، «المحكم» (٢ / ٧٧)، «المغرب» (١ / ١٨٢)، «التفسير الكبير» (٣٠ / ١٩٧)، «المزهر» (٢ / ١٢٢ - ١٢٥).

فحين تقول: (هو فاروق) كان المعنى كأنه آلة للفرقان، وكذا حاذور أي: كأنه آلة للحذر، وكذا قاشور وساكوت ونحوها.

وهذا مما نلاحظه في لغتنا الدارجة فقد نقل كثيراً من الآلة إلى الوصفية فنقول - مثلاً - هو جاروشة للذي يتكلم كثيراً، ومما هو شبيه بالآلة قولهم: هو بالوعة وساروطة لكثير البلع والسرط. ونحوه قوله ﷺ: «إن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، وإن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر» أو كما قال، وهو نقل من اسم الآلة إلى الوصفية كما هو ظاهر.

٦ - فَعِل :

قال ابن طلحة: هو لمن صار له كالعادة^(١). وهذا البناء منقول كما هو ظاهر قول ابن طلحة من (فَعِل) الذي هو من أبنية الصفة المشبهة، وفعل - كما مر ذكره - يدل على الأعراض وعلى الهيج والخفة نحو فَرِحَ وأَشْرَ وأَسِفَ، وهو مستعار إلى المبالغة منه فحين تقول: (هو حَذِر) كان المعنى أنه كثر منه الفعل كثرة لا ترقى إلى درجة الثبوت غير أنه مصحوب بهيجان وخفة واندفاع.

وأظن أن هذا ما رمى إليه ابن طلحة في قوله: أنه لمن صار له كالعادة.

٧ - فَعِيل :

قال ابن طلحة: هو لمن صار له كالطبيعة^(٢). وتوضيح الأمر أن هذا البناء منقول من (فَعِيل) الذي هو من أبنية الصفة المشبهة أيضاً. وبناء (فَعِيل) في الصفة المشبهة - كما أسلفنا - يدل على الثبوت فيما هو خلقه أو بمنزلتها كطويل وقصير وفقه وخطيب.

وهو في المبالغة يدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خلقه في صاحبه

(١) «معجم الهوامع» (٢ / ٩٧)، «كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠).

(٢) «معجم الهوامع» (٢ / ٩٧)، «كشف الطرة» (٧٩ - ٨٠)، «الكليات» (٣٩٨).

وطبيعة فيه كعلم، أي: هو لكثرة نظره في العلم وتبحره فيه أصبح العلم سجيةً ثابتة في صاحبه كالطبيعة فيه، ومثل ذلك في الصفة المشبهة: فقيه وخطيب.

وقد ذكرنا في بحث الصفة المشبهة أن ما كان من الصفة المشبهة على (فعل) يصح بناؤه على (فُعَال) للمبالغة في الوصف كطويل وطُوال وجميل وجُمال، فإذا أردنا الزيادة في المبالغة شددنا العين فقلنا (فُعَّال) ككَبَّار وعُجَّاب.

وأغلب الظن أن هذا البناء أي (فُعَّال) هو أصل ما وافقه من أسماء الآلة كالكُلَّاب والنُشَّاب والعُكَّاز وليس العكس وذلك لكثرة في المبالغة وقلته في الآلة، فقد ذكرنا أنه يصح في كل فعل تحويله إلى فُعَال وفُعَّال للمبالغة. وقد مر ما يغني عن الإعادة لذكره في هذا الأمر.

وقد تقول: إنك خالفتَ ما ذهبتَ إليه من أن أصل المبالغة النقل.

والحق أننا لم نخالف ما ذهبنا إليه فالأصل (فعل) منقول من الصفة المشبهة ثم عدل إلى فُعَال بالتخفيف ثم فُعَّال بالتشديد لزيادة المبالغة.

٨ - فَعِيل :

يستعمل هذا الفعل للمولع بالفعل فيديم العمل به أو يكون له عادة.

جاء في «تفسير الرازي»: «صِدِّيق - مبالغة في كونه صادقاً وهو الذي يكون عاداته الصدق لأن هذا البناء ينبىء عن ذلك يقال: رجل خَمِير وسَكَّير للمولع بهذه الأفعال»^(١).

وجاء في «أدب الكاتب»: «فَعِيل: وهو لمن دام منه الفعل نحو: رجل سَكَّير: كثير السكر، وخَمِير: كثير الشرب للخمر، ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثُر منه أو يكون له عادة»^(٢).

(١) «التفسير الكبير» (٢١ / ٢٢٣)، (١٠ / ١٧٢).

(٢) «أدب الكاتب» (٢٥٥).

الشراب، وخَمِير: كثير شرب الخمر^(١).

وفي «الفروق اللغوية» أن الشَّرِيب هو المنهمك بالشراب المحظور^(٢).

وفي «ديوان الأدب»: «الشَّرِيب: المولع بالشراب... السَّكَيْت: الدائم السكوت، الصَّمَيْت: الدائم الصمت... والعَبِيث: الدائم العبث، والخمير: الدائم الشرب للخمر، والسكير الدائم السكر»^(٣).

والظاهر أن هذا البناء محول عن فَعَال كما حُوّل مفعيل عن مفعال.

٩ - المبالغة بزيادة التاء :

تزداد التاء على قسم من الصفات فتكون للمبالغة كالراوية والعارفة والأصل فيهما الراوي والعارف وهما من أسماء الفاعلين وقد تزداد على صيغ المبالغة كالعلامة والنسابة والهمزة والفروقة.

وللعلماء فيها أوجه.

جاء في «التصريح»: «وتأتي التاء للمبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية، وإنما أنثوا المذكر لأنهم أرادوا أنه غاية في ذلك الوصف والغاية مؤنثة.

ولتأكيد أي المبالغة الحاصلة بغير التاء كنسابة وذلك لأن فعلاً يفيد المبالغة بنفسه فإذا دخلت عليه التاء أفادت تأكيد المبالغة لأن التاء للمبالغة»^(٤).

وجاء في «الخصائص» أن الهاء في نحو علامة ونسابة «لم تلحق لتأنيث

(١) «التلويح» (٥٣ - ٥٤).

(٢) «الفروق اللغوية» (١٦٤).

(٣) «ديوان الأدب» (١٠٨) (مخطوطة)، (١ / ٣٣٩ - ٣٤٠).

(٤) «شرح التصريح» (٢ / ٢٨٨)، وانظر «ابن يعيش» (٥ / ٩٨)، «الكامل» للمبرد (١ / ١٦٤)، «جمع

الهوامع» (٢ / ١٧٠).

الموصوف بما هي فيه، وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهية فجعل تأنيث الصفة أمانة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة، وسواء كان ذلك الموصوف بتلك الصفة مذكراً أم مؤنثاً^(١).

وفي «التلويح»: «تقول: رجلٌ راوية للشعر: إذا كان ينشده، ورجل علامة بالتشديد عالم جداً، ومعزابة: إذا كان يعزب بإبله في الرعي، أي: يبعدها لعزّه، يدخلون الهاء في جميع ذلك وذلك إذا مدحوه كأنهم أرادوا به داهية، وكذلك إذا ذمّوه فقالوا: رجل لحانة، أي: مخطيء في كلامه»^(٢).

وفي «الكشاف» أن بناء (فُعَلَة) كالهَمْزة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها ونحوها: اللَّعْنَةُ وَالضُّحْكَةُ^(٣).

وفي «الفروق اللغوية»: «الفرق بين عَلَامٍ وَعَلَامَةٍ أن الصفة بعَلَامٍ صفة مبالغة وكذلك كل ما كان على فعال. وَعَلَامَةٌ وإن كان للمبالغة فإن معناه ومعنى دخول الهاء فيه أنه يقوم مقام جماعة علماء فدخلت الهاء فيه لتأنيث الجماعة التي هي في معناه، ولهذا يقال: الله عَلَامٌ ولا يقال له عَلَامَةٌ كما لا يقال أنه يقوم مقام جماعة علماء. فأما قول مَنْ قال أن الهاء دخلت في ذلك على معنى الداهية فإن ابن درستويه رده واحتج فيه بأن الداهية لم توضع للمدح خاصة ولكن يقال في الذم والمدح وفي المكروه والمحبوب... ولو كانت الداهية صفة مدح خاصة لكان ما قاله مستقيماً. وكذلك قوله: لِحَانَةٌ شَبَّهَوهُ بِالْبَهِيمَةِ غلطٌ لأن البهيمة لا تلحن وإنما يلحن مَنْ يتكلم. والداهية اسم من أسماء الفاعلين الجارية على الفعل يقال: دهى يدهى فهو داهٍ وللأنثى داهية، ثم يلحقها التأنيث على ما يراد للمبالغة فيستوي فيه الذكر والأنثى مثل الراوية، ويجوز أن يقال: إن الرجل سمي داهية كأنه يقوم مقام جماعة دهاة، وراوية كأنه يقوم مقام

(١) «الخصائص» (٢ / ٢٠١)، «المحكم» (٢ / ١٢٥).

(٢) «التلويح في شرح الفصيح» (٧٥).

(٣) «الكشاف» (٣ / ٣٥٧)، «تفسير الرازي» (٣٢ / ٩١).

جماعة رواة على ما ذكر من قبل وهو قول المبرد^(١).

وفي «المزهر» أن الصخابة كأنهم أرادوا به بهيمة^(٢).

والذي نراه في هذا الباب أن التاء التي ليست للتأنيث تُحوّل الوصف إلى الاسمية وقد مر بنا شيء من هذا الباب كالذبيحة والنطيحة والضحية فقد حولت التاء الوصف إلى الاسمية أي: حولتها إلى الذات. فالذبيحة هي ما أُعِدَّ للذبح من النعم وكذا الضحية، ونحوه ما جاء في أطعمة العرب كالرَبِيكة والرغيدة والصحيرة والسخونة فليست الربيكة كل ما يربك وإنما هي اسم لطعام خاص يطبخ من بر وتمر، والسخونة ليست لكل ما يسخن وإنما هي اسم لطعام خاص تصنعه العرب.

جاء في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ غَائِبَةٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [النمل: ٧٥] «سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما: النطيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات»^(٣).

ومثله: أسماء الحشر وهي مؤنثة في الغالب كالقارعة والطامة والصاخّة، فالقارعة هي ليست وصفاً لكل ما يقرع وإنما هو اسم لهذا اليوم المخصص وكذا الطامة والصاخّة وأخواتها.

وكذا الداهية والنازلة والقاصمة جاء في «التفسير الكبير» للفيروز الرازي: «الداهية التي هي اسم الفاعل من دَهاهُ أمر كذا إذا أصابه وهو أمر صعب لأن الداهية صارت كالاسم الموضوع للشديد على وزن الباطية والسائبة التي لا تكون من أسماء الفاعلين وإن كانت الداهية أصلها ذلك غير أنها استعملت استعمال الأسماء وكتبت في أبوابها وعلى هذا يكون معناه ألزم وأضيق أي هي بحيث لا تدفع»^(٤).

(١) «الفروق اللغوية» (٦٨ - ٦٩).

(٢) «المزهر» (٢ / ٢٠٥).

(٣) «الكشاف» (٢ / ٤٦٠)، «تفسير الرازي» (٢٤ / ٢١٥).

(٤) «التفسير الكبير» (٢٩ / ٦٩).

وقد استعمل هذا النوع من الأبنية مما خُتم بالتاء في الآلات كالعارضة: واحدة عوارضِ السقف، والدامغة: الحديدية التي فوق مؤخرة الرَّحْلِ^(١) ومثله: الطرادة والملأسة والقذافة والزرافة والدبابة^(٢).

وهكذا نرى أن ما خُتم بتاء التأنيث من هذه الصيغ انتقل من الوصفية إلى الاسمية وكذا الأمر في المبالغة فإن التاء فيها حولت الوصف إلى الاسمية فقولك: (هو راوية) يفيد الدلالة على الاسمية كالعارضة والداهية والنازلة.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية أن ما ختم بالتاء على وزن (فاعلة) كالداهية والقارعة والنازلة والقاصمة مما لم يرد به تأنيث (فاعل) يدل على العموم والشمول والشدة والمبالغة فليس كل ما ينزل يسمى نازلة حتى يكون عاماً مستطيراً وشديداً قاهراً. تقول: حَلَّتْ بهم نازلة أو جائحة: إذا عَمَّتْهم بالبلاء. وتقول: حَلَّتْ به داهية، أي: نزل به أمر مستطير.

ولذا كانت أغلب أسماء الحشر مؤنثة كالقارعة والطامة والصاخة لما فيها من العموم والشمول والشدة والقهر. وكذلك معنى المبالغة فيما ختم بالتاء فإن قولك: (هو راوية) يفيد أن روايته أصبحت أمراً عاماً مشهوراً أو على درجةٍ بليغة من الاتصاف بالأمر، وكذا إذا قلت (هو طاغية) أو نحوها فكأنك قلت: هو داهية أو قارعة أو نازلة.

فليس كل راوٍ راوية، ولا كل عارف عارفة، كما أنه ليس كل نازل نازلة، ولا كل قاصم قاصمة، ولا داه داهية.

وكذا الأمر في الفعالة وأخواتها فالتاء في العلامة حولت الوصف إلى اسم ذات كالطرادة والقذافة والدبابة وغيرها من أسماء الآلات والذوات.

وهكذا فإن ما ختم بهذه التاء أصبح اسماً واختفى منه معنى الحدث أو كاد،

(١) «ديوان الأدب» (١ / ٣٦٦، ٣٦٧).

(٢) «ديوان الأدب» (١٠٤) (مخطوطة)، «المغرب» (١ / ١٧٣).

والدليل على ذلك أنا لم نجد مما ختم بهذه التاء من صيغ المبالغة عاملاً^(١) في كلام العرب لأنه أصبح اسماً لهذا الضرب من الناس الذين يزاولون هذه الأفعال فلم نجد مثلاً: هو راوية الشعر أو فهامة الأمور كما وجدنا: حذرُ أموراً لا تضير، وأنه لمنحازٌ بوائكها.

وعلى هذا فالمبالغة بزيادة التاء لا تبقى الوصف على حاله وإنما تحول الوصف إلى الاسمية، فالعلامة ليس هو العلام مع زيادة في المبالغة، ولا النسابة هو النساب مع زيادة في المبالغة، وإنما هو تحويل الوصف إلى الاسم مع اشتهاار المسمى بذلك. وإلى هذا المعنى فيما أحسب ذهب مَنْ ذهب إلى أن الهاء دخلت على معنى الداهية أو أن الصخابة شَبَّهوه بالبهيمة أي هو على معنى الاسمية.



(١) المقصود من ذلك عدم توفر عنصر الحدث الذي هو سبب التعدي أما العمل كما يراه النحاة فلنا فيه رأي.

اسم الآلة

يطلق اسم الآلة على الأداة التي يعالج بها وأوزانها ليست قياسية ونذكر هنا أموراً تتعلق بمعاني اسم الآلة هي:

١ - أنه قد يختلف البناء لاختلاف المعنى في اسم الآلة وذلك نحو: السَّكَّان والسَّكِّين من (سكن) وهما اسما آلة، فالسكان ذنب السفينة التي به تُعدَّلُ والسكان أيضاً ما تُسَكَّن به السفينة، أي: تُمنع به من الحركة والاضطراب، والسكين: المدية.

قال ابن دريد: «السَّكِّين فِعْلٌ من ذبحت الشيء حتى سكن اضطرابه، وقال الأزهري: سميت سكيناً لأنها تُسَكَّن الذبيحة، أي: تُسَكَّن بالموت»^(١).

ونحو: الخازق والمخزق والمخرقة، فالخازق اسم آلة كالخاتم ومعناه السنان، والمخرقة: الحربة، والمخزق: عودٌ في طرفه مسمار يكون عند بيع التمر^(٢). وكالخاطوف والخُطَاف، فالخاطوف شبيه بالمنجل يُشَدُّ في حباله الصائد يختطفُ الطيبي، والخُطَاف: حديدة تكون في الرَّحْلِ تُعلَق فيها الأداة والعجلة، وكل حديدة حجناء خُطَاف^(٣).

وكالمنقار والمنقر والناقور، فالمنقار منسر الطائر لأنه ينقر به أو هي حديدة كالفأس ينقر بها، والمنقر بكسر الميم: المِعول، وأما الناقور فهو الصُّورُ الذي ينقر فيه

(١) «لسان العرب» (سكن).

(٢) «لسان العرب» (خزق).

(٣) «لسان العرب» (خطف).

الملك، أي: ينفخ^(١). قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الْنَّافِثَاتِ﴾ [المدثر: ٨].

ونحو: المغفر والغفارة، فالمغفر: بيضة الحديد، والغفارة: خرقه تستر الخمار أن يمسه دهن الرأس^(٢).

٢ - إن بناء مفعّل ومفعلة يدل على الأداة من دون قيد آخر أو زيادة في معنى كالمكنسة والمطرقة والمفتاح والمنشار والمبرد والمسّن والمثقب. فالمكنسة: هي الأداة التي يكنس بها، والمطرقة: الأداة التي يطرق بها وهكذا.

٣ - إن صيغة فَعَال وفَعَّالَة وفُعِّل وفُعِّل وفُعُول وما فيه التضعيف عموماً تفيد التكثير في الآلة كالقذّاف وهو المنجنيق، والحرقاة وهي ضرب من السفن فيها مرامي نيران يُرمى بها العدو في البحر^(٣) والكُلاب والكُلوب والخُطّاف ونحوها وذلك أنها من صيغ المبالغة في الأصل وهي تفيد التكثير.

جاء في «الخصائص»: «فأما قولهم: خُطّاف - وإن كان اسماً - لاحقاً بالصفة في إفادة معنى الكثرة ألا تراه موضوعاً لكثرة الاختطاف به؟ وكذلك سكين إنما هو موضوع لكثرة تسكين الذابح به. وكذلك البزار والعطّار والقصار ونحو ذلك إنما هي لكثرة تعاطي هذه الأشياء وإن لم تكن مأخوذة من الفعل. وكذلك النُسّاف لهذا الطائر كأنه قيل له ذلك لكثرة نَسْفِه بجناحيه، وكذلك الخُصّاري للطائر أيضاً كأنه قيل له ذلك لكثرة خضرته، والخُوارى لقوة حوره وهو بياضه. وكذلك الزمّل والزميل والزمال إنما كررت عينه لقوة حاجته إلى أن يكون تابعاً وزميلاً»^(٤).

٤ - إن صيغة فِعَال وفِعَّالَة تدل على الاشتمال في الغالب كالحزام والخمار والعِمامة والكِنانة، فالحزام يشتمل على الجسم ويلفه، والخمار يشتمل على الرأس

(١) «لسان العرب» (نقر).

(٢) «مفردات الراغب» (غفر).

(٣) «لسان العرب» (قذف)، (حرق).

(٤) «الخصائص» (٣ / ٢٦٧).

ويغطيه، وكذا العمامة بالنسبة إلى الرأس، والكنانة تحتوي ما فيها. جاء في «الفروق اللغوية»: «إن الفعالة للاشتمال مثل العصابة والعمامة والقلادة، ولذلك جاء أكثر الصناعات على فعالة نحو: القصارة والخياطة ومثل ذلك العبارة لاشتغالها على ما فيها»^(١).

وجاء في «بدائع الفوائد»: «وبنوا (الصراط) على زنة (فعال) لأنه مشتملٌ على سالكه اشتمالَ الحلق على الشيء المسروط وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش»^(٢).

٥ - بناء فاعول وفاعولة في الآلة يدل على المبالغة في القيام بالفعل أو المبالغة في الآلة نفسها من حيث هي كالناعور والصاقور والساطور والناقور والطاحونة. فالصاقور: فأس عظيمة تكسر بها الحجارة^(٣)، والناعور معروف، والناقور: الصور، قال تعالى: ﴿فَإِذَا تُقْرِفُ الْتَاقُورُ﴾ [المدثر: ٨].

ومن أبنية المكان على هذا الوزن البالوعة: وهي التي تكثر البلع وتبلع ما يقدم لها، والساوطة في اللغة الدارجة: المكان الذي يكثر السرط ويسرط ما يصل إليه.

ومن أبنية المبالغة على هذا الوزن الجارود ومنه: سَنَةٌ جارود، أي: مقحطة شديدة المحل^(٤) والفاروق.

فهذا يدل على المبالغة في القيام بالفعل آلة أو مكاناً أو وصفاً.

٦ - قد يغير بناء الآلة عن القياس لأنه لم يقصد بها قصد الفعل كما مر في أسماء المكان وذلك نحو: المُنْخُل والمُسْعُط والمُدُق والمُكْحَلَة - فالمُنْخَل ليس لكل ما يُنْخَل به؛ بل هو اسم مخصوص بآلة معينة على هيئة معينة فلو نخلت بخرقه ونحوها لم يسم

(١) «الفروق اللغوية» (٧٣)، وانظر «الكليات» (٣٩٦-٣٩٧).

(٢) «بدائع الفوائد» (٢ / ١٦).

(٣) «ديوان الأدب» (١ / ٣٧١).

(٤) انظر «لسان العرب» (جرد).

منخلًا، ولو أردتَ ذلك لَبَيَّته على الأصل فقلت: مِنْخَل، وكذلك المُسْعَط: هو اسم لما يوضع فيه السعوط ويكون على صفة مخصوصة، وكذلك المدق ليس اسماً لكل ما يدق به بل هو مخصوص بنوع مما يدق به كِفْهر العطار.

جاء في «شرح الرضي على الشافية»: «قال سيبويه في المكحلة وأخواتها: لم يذهبوا بها مذهب الفعل ولكنها جعلت أسماء لهذه الأوعية، يعني أن المكحلة ليست لكل ما فيه الكحل ولكنها اختصت بالآلة المخصوصة وكذا أخواتها فلم تكن مثل المكسحة والمصفاة فجاز تغييرها عما عليه قياسُ بناء الآلة كما قلنا في المسجد وأخواته.

والمُسْعَط: ما يُسْعَط به الصبي أو غيره، أي: يجعل به السعوط في أنفه، والمُدُق: ما يدق به الشيء كِفْهر العطار، والمُدْهِن: ما يجعل فيه الدهن من زجاج ونحوه»^(١).



(١) «الرضي على الشافية» (١ / ١٨٧)، وانظر «سيبويه» (٢ / ٢٤٨).

الجموع

الجموع في العربية على نوعين: جمع سالم وجمع تكسير. وجمع التكسير له أوزان كثيرة تبلغ سبعة وعشرين وزناً وقد يكون للاسم الواحد عدة جموع نحو: كافر وكفار وكَفَرَة وكافرين، وساجد وسُجِّد وسجود وساجدين، وراكب وركاب وركبان، فما تفسير هذه الظاهرة؟ وهل تختلف معاني الجموع باختلاف الأوزان؟

إن القرآن الكريم استعمل الساجدين مثلاً والسُجِّد والسجود، واستعمل الكفار والكفرة والكافرين وغيرها من الجموع المختلفة فهل دلالات هذه الجموع المختلفة واحدة؟

إن النحاة لم يفسروا هذا الأمر تفسيراً كاملاً فلم يفرقوا لنا بين فُعَال جمع فاعل وفَعَلَة جمع فاعل مثلاً كالطلاب والطلبة، ولم يخبرونا بالفرق بين فُعَلَاء وفِعال جمع فَعِيل كضعفاء وضيعاف جمع ضعيف وغير ذلك من الأوزان المختلفة.

يذهب النحاة إلى أن أهم أسباب الاختلاف تعود إلى اختلاف اللغات، وإلى دلالة الجمع على القلة أو الكثرة، أو تعود إلى اختلاف المعاني بأن تكون اللفظة مشتركة بين معنيين فيجمع كل معنى على وزن كالخيلان جمع الخال الذي هو الشامة والأخوال جمع الخال الذي هو أخو الأم. وربما فرقوا في ألفاظ قليلة بين جمعين لمفرد واحد غير مشترك كالركبان والركاب جمع راكب وكالعباد والعبيد جمع عبد.

إننا نرى أن الأوزان المختلفة لها معان مختلفة فلا نرى أن (فَعَلَة) في دلالته على الجمع كفُعَال، فالكُتَّاب ليس بمعنى الكُتَبَة تماماً، ولا نرى أن (فُعَلَاء) كالْفُعْلَان،

فالعُمِّي ليس بمعنى العميان تماماً ولولا اختلاف المعنى ما كان اختلاف الأوزان .

إن أهم الأسباب لاختلاف أوزان الجموع ما يأتي :

١ - اختلاف لغات العرب : وهو من الأسباب المهمة لاختلاف الجموع وذلك كالأقوُس والأقواس جمع قوس ، والأمكنة والأمكن جمع مكان ، والفِسال والفسول جمع فسل ونحوها .

قال سيبويه في (قوس) إن جمعه أقواس «وقد قال بعضهم في هذا الباب حين أراد بناء أدنى العدد أفعل فجاء به على الأصل وذلك قليل ، قالوا : قوس وأقوُس . . . وقالوا : زوج وأزواج وزوجة وثور وأثوار وثورة وبعضهم يقول : ثيرة»^(١) .

وذكر أن تميماً قد تخفف فعلاً كحُمُر جمع حمار وحُمُر جمع خمار^(٢) فتقول : حُمُر وحُمُر . وقال : «وقد قال بعض العرب أمكن كأنه جمع مكن لا مكان لأننا لم نر فعلاً ولا فعلاً ولا فعلاً ولا فعلاً يكسرن مذكرات على أفعل»^(٣) . وذكر أن فسلًا يجمع على فسال ثم قال : «وسمعنا من العرب من يقول : فسل وفُسول فكسروه على فعول كما كسروه عليه إذ كان اسماً»^(٤) . قال : «وبلغنا أن بعضهم يقول : جبِل وأجبِل»^(٥) .

وذكر أن (فُعلة) تجمع على فُعلات كغرفة وغُرُفات قال : «ومن العرب من يفتح العين إذا جمع بالتاء فيقول : رُكَبَات وغُرُفات . . . ومن العرب من يدع العين من الضمة في فعلة فيقول غُرُوات وخطُوات»^(٦) وغير ذلك .

(١) «سيبويه» (٢ / ١٨٥) .

(٢) «سيبويه» (٢ / ١٩٢) .

(٣) «سيبويه» (٢ / ١٩٩) .

(٤) «سيبويه» (٢ / ٢٠٤) .

(٥) «سيبويه» (٢ / ٢٧٧) .

(٦) «سيبويه» (٢ / ١٨٢) .

وقد جعل بعضهم السبب الأول في تعدد الجموع تعدد اللغات بل كاد يحصره به، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: «وكثرة صيغ جموع التكسير في العربية تسترعي التأمل والنظر بحيث لا نستطيع أن نفسر ذلك بغير القول بتعدد اللهجات»^(١) غير أنه يقول في مكان آخر من الكتاب نفسه «والنظر في الأساليب يدل على أن العربية خصت صيغة جمع بمفرد معين في الدلالة على مادة من المواد، كما خصت صيغة جمع آخر بالمفرد نفسه في الدلالة على مادة أخرى. فالعين وهي الباصرة قد جمعت في القرآن على (أعين) وعين الماء قد جمعت في القرآن نفسه على عيون»^(٢).

والحقيقة أن هذا ليس مما خصت به العربية صيغة الجمع وإنما هو مما خص به القرآن الكريم قسماً من الجموع في الاستعمال، فقد خص استعمال الحمير مثلاً حيث وردت بالحمُر الأهلية قال تعالى: ﴿وَالْغَالِ وَالْحَمِيرَ لِرَكْبُوها﴾ [النحل: ٨] وقال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصَوْتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] وخصَّ الحمُر بالوحشية قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠ - ٥١] والقسورة: الأسد.

ومن ذلك ما خصه باستعمال الموتى والأموات والميتين جمع ميت فاستعمل الموتى لمن أصابهم الموت حقيقة، وقد وردت (الموتى) سبع عشرة مرة في القرآن الكريم بهذا المعنى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠] وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ [الأنعام: ١١١] وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠].

واستعمل الأموات لمن ماتوا حقيقة ولغيرهم، أي: للموت المعنوي، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

(١) «دراسات في اللغة» (٧٨).

(٢) «دراسات في اللغة» (٩١).

وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٦]، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢].

واستعمل الميتين لمن لم يموت قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْنَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ﴾ [الصفات: ٥٨ - ٥٩] وغير ذلك.

والظاهر أن تعدد اللغات إنما هو سبب واحد من جملة أسباب تعدد الجموع وليس هو السبب الوحيد.

٢ - إن العربي قد يضطره شعر أو سجع إلى أن يستعمل أكثر من جمع لمعنى واحد أو أن يأتي بلفظ على غير قياس؛ فإن لغة الشعر لغة خاصة وأن العرب قد «يخرجون الكلم عن أوضاعها لغرض الازدواج فيقولون - مثلاً - آتيك بالغدايا والعشايا مع أن فيه ارتكاباً لما يخالف اللغة»^(١).

جاء في «لسان العرب»: «وقالوا: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، والغداة لا تجمع على الغدايا ولكنهم كسروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا فإذا أفردوه لم يكسروه»^(٢).

وعلى أي حال فنحن لا نعني هذا القسم الذي تأتي به الضرورة فإن هذا قد يقع في شعر أو سجع، ولغة الشعر لغة خاصة تضطر صاحبه إلى أن يرتكب ما لا يرتكبه غيره من أرباب القول.

٣ - اختلاف المعنى: قد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى بأن تكون اللفظة مشتركة فيفرق بينها في الجموع، أو يكون معناها واحداً غير مشترك ولكن جموعها

(١) «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١ / ٧١).

(٢) «لسان العرب» (غدا) (١٩ / ٣٥٣).

تختص بمعان مختلفة وذلك نحو: الربيع، فإن ربيع الكلاً يجمع على (أربعة) ويجمع ربيع الجدول على (أربعة)، ويجمع خال الرجل على أخوال، والخال الذي في الجسد على خيلاً^(١)، والخُفّ يجمع على خِفاف وأما خف البعير فإنه يجمع على أخفاف^(٢)، والركبان جمع راكب لا يكون إلا لركّاب الإبل، أما الركّاب فإنه يكون لركاب الخيل والسفينة وغيرها^(٣)، والسماء بمعنى المطر يذكر ويؤنث والأغلب عليه التأنيث والجمع في القلة على (أسمية) وفي الكثرة على (سُميّ) كفُعول، وأما السماء المظلة فهي مؤنثة لا غير وجمعها سماوات لا غير^(٤)، والكعاب والكعوب جمع (كعب) فالكعوب للرمح والكعاب للإنسان وغيره^(٥).

وكالأسرى والأسارى فقد فرق أبو عمرو بين الأسرى والأسارى فقال: «الأسارى: الذين في وثاق، والأسرى: الذين في اليد»^(٦) وقيل: بل هو من اختلاف اللغات^(٧).

وكالعِدَى والعُدَى، فالعِدَى بكسر العين الأعداء الذين تقاتلهم، وبضمها الأعداء الذين لا تقاتلهم^(٨).

وكالكفار والكفرة فإن الكفار في جمع الكافر المضاد للإيمان أكثر استعمالاً، والكفرة في جمع كافرِ النعمة أكثر استعمالاً^(٩).

(١) «إصلاح المتطق» (٤٠١).

(٢) «الكليات» لأبي البقاء (١٧٩).

(٣) «لسان العرب» (ركب) (١ / ٤١٣)، «الكليات» (١٩٦).

(٤) «الكليات» (٢٠٧).

(٥) «ديوان الأدب» (١ / ٩٦).

(٦) «التفسير الكبير» للرازي (٣ / ١٧٢ - ١٧٣)، «الكليات» (٤٦)، وانظر «ضوابط الفنون» لأبي البقاء فصل الألف والسين، «المزهر» (٢ / ٢٩١).

(٧) «الصاحبي» (٢١).

(٨) «الكليات» (٢٥٩)، «ضوابط الفنون» فصل العين.

(٩) «الكليات» (٣٠٥).

وكالعباد والعبيد فأكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس^(١).

٤ - القلة والكثرة: وهو سبب آخر من أسباب اختلاف الجموع، وأمثلة القلة: (أفعل) كأشهر و(أفعال) كأشياخ و(أفعل) كأغربة و(فعل) كشيخه وفتية^(٢).

وزاد الفراء (فعل) كقوله (هم أكلة رأس) أي: قليلون يكفيهم ويُسبِعهم رأس واحد^(٣). قيل: «وليس بشيء إذ القلة مفهومة من قرينة سبّعهم بأكل رأس واحد لا من إطلاق فعل»^(٤).

ونقل التبريزي أن منها (أفعلاء) كأصدقاء^(٥)، غير أن الجمهور على الأمثلة الأربعة الأولى.

كما أن الجمع السالم بنوعه يفيد القلة^(٦) عندهم كالسنبلات والسنابل والجففات والجفان والزبدن والزيود، فالسالم يفيد القلة والتكسير يفيد الكثرة.

وقد يستغنى بجمع عن جمع فيستعمل جمع القلة للقلة والكثرة وبالعكس كالرجال فهو من أوزان الكثرة ويستعمل للقلة والكثرة، وكالأقلام جمع قلم وهو من أمثلة القلة ويستعمل للقلة والكثرة^(٧).

قال سيويه: «فأما القردة فاستغنى بها عن (أقراء) كما قالوا: ثلاثة شسوع فاستغنوا بها عن أشساع وقالوا: ثلاثة قروء فاستغنوا بها عن ثلاثة أقراء»^(٨).

(١) «الكشاف» (٢ / ٢٢٤).

(٢) «سيويه» (٢ / ١٧٥ - ١٩٤)، و«ابن يعيش» (٥ / ٩).

(٣) «الرضي على الكافية» (٢ / ٢١٢)، وانظر «الكشاف» (٢ / ٤٨١)، «إصلاح المنطق» (١٩٥)، «التلويح» (٨٢)، «الأمالي» لأبي علي القالي (١ / ٢١٧).

(٤) «الرضي على الكافية» (٢ / ٢١٢).

(٥) «الرضي على الكافية» (٢ / ٢١٢).

(٦) «ابن يعيش» (٥ / ١٠)، «سيويه» (٢ / ١٨١ - ١٨٣).

(٧) «ابن يعيش» (٥ / ١١).

(٨) «سيويه» (٢ / ١٧٩).

والمراد بالقلّة ما كان من الثلاثة إلى العشرة فإن زاد على العشرة فهو من جموع الكثرة^(١)، فيقال مثلاً: أربعة أحرف أو عشرة أحرف فإن زادت على العشرة قيل: حروف، ويقال: خمسة فتية فإن زادوا على العشرة قيل: فتيان.

قال تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ آلِ لَيْلٍ مِّنَ الْمَلَكِئَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٤] وقال: ﴿بِخَمْسَةِ آلِ لَيْلٍ مِّنَ الْمَلَكِئَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٥] فاستعمل الآلاف للقلّة، وقال: ﴿خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ [البقرة: ٢٤٣] فدل قوله (ألوف) على أنهم زادوا على عشرة آلاف فاستعمل الأفعال للقلّة والفعول للكثرة.

وقال: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُمِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧] فاستعمل (الأفعل) للقلّة لأنها سبعة وقال: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] وقال: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] فاستعمل البحار للدلالة على الكثرة لأنها جميعها تتفجر وتسجر يوم القيامة.

وقال في أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّنَّهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وقال فيهم أيضاً: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٠] فاستعمل الفتية للقلّة لأن أكثر ما قيل في عدتهم سبعة وثامنهم كلبهم، في حين قال تعالى في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ [يوسف: ٦٢] فدل ذلك على أنهم أكثر من عشرة إذ لا شك أن عمال العزيز الذين يعملون على الطعام أكثر من عشرة فاستعمل الفتية للقلّة والفتيان للكثرة.

وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] لأن أشهر الحج ثلاثة، وقال: ﴿تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وقال: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وقال: ﴿فَيَسْجُودُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]، وقال: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤]، وقال: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥] فاستعمل الأشهر للقلّة ولكنه قال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦]

(١) «سيبويه» (٢ / ١٧٥).

فاستعمل الشهور لما زاد على العشرة^(١).

ومن ذلك الإخوة والإخوان، فالإخوة جمع قلة والإخوان جمع كثرة وأكثر ما تستعمل الإخوة في أخوة النسب والإخوان للأصدقاء^(٢).

ووردت (الإخوة) في القرآن الكريم كلها بمعنى أخوة النسب كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٥٨]، وقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١] إلا في موطن واحد وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويمكن تخريجه على أنهم بمنزلة الأخوة في النسب.

جاء في «التفسير الكبير»: «قال بعض أهل اللغة: (الإخوة) جمع الأخ من النسب، و(الإخوان) جمع الأخ من الصداقة قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ تأكيداً للأمر وإشارة إلى أن ما بينهم ما بين الإخوة من النسب والإسلام كالأب قال قائلهم:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم^(٣)

ووردت كلمة (إخوان) في اثنين وعشرين موطناً في كتاب الله منها: ما هو بمعنى الأصدقاء كقوله تعالى: ﴿وَقَرَعُونَ لِخَوْنِ لُوطٍ﴾ [ق: ١٣] وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧]، وقوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومنها: ما هو بمعنى النسب نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُ زَيْنَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بُنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وقوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

(١) انظر «الأيام والليالي والشهور» للفراء (٥٣ - ٥٤).

(٢) انظر «المخصص» (٣ / ١٤٨)، «الكليات» (٢٣)، «ضوابط الفنون» فضل الألف والحاء.

(٣) «التفسير الكبير» (٢٨ / ١٢٩).

وسبب ذلك أن كل ما ورد من (إخوان) بمعنى الأخ في النسب فالخطاب فيه لعموم المؤمنين وليس لواحد منهم فاقتضى المقام الكثرة فجاء بصيغة (إخوان) الدالة على الكثرة بدل (إخوة) التي هي للقلة.

هذا هو الأصل في استعمال القلة والكثرة وقد يعدل عن ذلك لضرب من البلاغة فقد تُعطى القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة لغرض ما أو قد يُخصَّص كل من الوزنين بمعنى فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله: ﴿إِنِّي أَرَى سَنَعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَنَعَ عِجَافٌ وَسَنَعَ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخَرَ يَاسِنَةٍ﴾ [يوسف: ٤٣].

فأنت ترى أن العدد واحد هو (سبع) ولكنه استعمل معه جمع الكثرة مرة والقلة مرة أخرى، والسبب في ذلك أن الآية الأولى سبقت في مقام التكثير والمضاعفة فجاء بها على (سنابل) لبيان التكثير، وأما قوله (سبع سنبلات) فجاء بها على لفظ القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير^(١).

ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨] وفي الأعراف: ﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦١] فجاء بالأولى على الكثرة وبالثانية على القلة والقصة واحدة. والسبب أن المقام في البقرة يقتضي التكثير والتفضل إذ إنه «لما أضاف ذلك القول إلى نفسه فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لا جرم قرَن به ما يليق بجوده وكرمه وهو غفران الذنوب الكثيرة فذكر بلفظ الجمع الدال على الكثرة، وفي (الأعراف) لما لم يُضَف ذلك إلى نفسه بل قال: ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾ لا جرم ذكر ذلك بجمع القلة»^(٢).

ولو لاحظتَ الفرق بين القصتين لرأيت أن الكثرة أليق في مكانها والقلة أليق في مكانها، فقد قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ

(١) انظر «التفسير القيم» (١٥٤ - ١٥٥)، «البرهان» للزركشي (٤ / ٢٢).

(٢) «التفسير الكبير» (٣ / ٩٢ - ٩٣).

رَعَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَرِّدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ .

وفي الأعراف قال: ﴿وَلِذَٰقِلْ لَهُمْ أَتَّكُونُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَرِّدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

فأنت ترى أن مقام التفضل في (البقرة) أوضح فقد بدأ الآية بقوله: ﴿وَلِذَٰقِلْنَا﴾ فنسب القول إلى نفسه تعالى، وفي الأعراف: ﴿وَلِذَاقِلْ لَهُمْ﴾ فبناه للمجهول. وقال في (البقرة): ﴿أَدْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾ فعقب الأكل على مجرد الدخول أي: جعل الأكل في عقب الدخول.

وقال في (الأعراف): ﴿أَتَّكُونُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا﴾ جعل الأكل مع السكن مقترناً به، أي: أن الأكل لا يحصل إلا مع السكن لا بمجرد الدخول فاستعمل الدخول والفاء الدالة على التعقيب في (البقرة) واستعمل السكن والواو في (الأعراف).

وقال ﴿رَعَدًا﴾ في البقرة وأسقطها في (الأعراف).

وقدم السجود على القول في (البقرة) والسجود أفضل لأنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وآخر السجود عن القول في (الأعراف).

وقال في (البقرة): ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ للدلالة على الكثرة، وقال في (الأعراف): ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ فأتى بجمع القلة.

وقال في (البقرة): ﴿وَسَرِّدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بزيادة الواو للاهتمام والتنويع والتأكيد، وحذف الواو في (الأعراف).

فأنت ترى أن مقام التفضل في (البقرة) أكبر وأتم ولذلك كان أولى باستعمال الكثرة.

وقد يؤتى بأوزان القلة والكثرة للمغايرة بين معنيين وضعاً أو تخصيصاً لا للدلالة على القلة والكثرة كالأخوال والخيالان جمع الخال، والأربعة والأربعاء جمع الربيع، والأنفس والنفوس؛ فإن العرب خصوا التوكيد المعنوي بلفظ الأنفس والأعين ولم

يستعملوا له النفوس ولا العيون فنقول (جاء الزيدون أنفسهم) لا نفوسهم وإن زادوا على العشرة، وكالأعين والعيون جمع العين فقد خص الله تعالى (الأعين) بالبصرة و(العيون) بعيون الماء كما ذكرنا.

فحيثما وردت (أعين) في القرآن الكريم أُريدَ بها الأعين الباصرة ولم يرد بها القلة فقد جاء هذا الجمع في (٢٢) اثنين وعشرين موطناً.

ورد بمعنى الرعاية في أربعة مواطن وهي قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقوله: ﴿أَنْ أَصْنَعُ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، وقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وفي ثمانية عشر موطناً بمعنى الباصرة كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَعِْنُ لَا يَصِيرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ٧٩]. وقوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ [الكهف: ١٠١]، وهم الكفار وهم كثرة ولا شك تربو أعينهم على العشرة.

وقد وردت (العيون) في القرآن الكريم في عشرة مواطن كلها بمعنى عيون الماء كقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، وقوله: ﴿فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١] ونحوها.

ومن ذلك ما خصه باستعمال (القاعدين) و(القعود) جمع (قاعد) فقد خص القرآن الكريم لفظ (القعود) بالقعود الحقيقي و(القاعدين) بمعنى القعود عن الجهاد.

وقد وردت (القعود) ثلاث مرات في القرآن كلها بمعنى القعود الحقيقي وهي قوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُؤْدِ * إِذْ هُرِّ عَلَيْهِا قُؤُودٌ﴾ [البروج: ٥ - ٦]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُؤُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُؤُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

ووردت (قاعدون) في ستة مواطن كلها بمعنى القعود عن الجهاد وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذْ هَبَّ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْتَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] أي: ماكثون مقيمون، وقوله: ﴿فَنَبْطِئُهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقوله:

﴿ ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [التوبة: ٨٦]، وقوله: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْمُرُ لَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥].

ومن ذلك ما خصه باستعمال القيام والقائمين جمع (قائم) فقد خص (القيام) بالقيام الحقيقي و(القائمين) بمعنى القيام بالأمر والعكوف.

فقد وردت (قيام) جمع قائم في أربعة مواطن كلها بمعنى القيام الحقيقي وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله: ﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقوله: ﴿ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴾ [الفرقان: ٦٤].

ووردت (قائمون) في مواطن ليس واحد منهما بمعنى القيام الحقيقي وهما قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٣]، وقوله: ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]، والقائمون هنا بمعنى العاكفين بدلالة قوله تعالى: ﴿ أَنْ طَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وهو نظير الاستعمال السابق في قعود وقاعدين.

وقد يؤتى بجمع القلة للدلالة على قلة نسبة لا حقيقية بمعنى أنه إذا قيس المعدود بمقابله كان قليلاً، فيستعمل للأكثر جمع الكثرة ولما هو دونه في الكثرة جمع القلة وإن كان كثيراً في ذاته، فمن ذلك استعمال الأبرار والبررة.

فقد وردت (الأبرار) في ستة مواطن من كتاب الله وهي كلها في المؤمنين وهم ولا شك يزدون على العشرة قال تعالى: ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وقال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ﴾ [الإنسان: ٥]، وقال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤]، وقال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرْبَابِ يَنْظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٣]، وقال: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وقال: ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّاتٍ ﴾ [المطففين: ١٨].

ولم يرد لفظ (البررة) إلا في موطن واحد وهو في صفة الملائكة وهو قوله تعالى: ﴿يَأْتِي سَفَرٌ * كَرَامٍ بَرَرٌ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦]، ولعل ذلك يعود إلى أن الأبرار إذا قيسوا بالفجار كانوا قلة فجيء بالفجار على جمع الكثرة والأبرار على جمع القلة، وهذا المعنى يذكره القرآن في أكثر من موطن من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقوله: ﴿وَلَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، فجيء بالجمع للدلالة على القلة النسبية. وجاء في صفة الملائكة بلفظ البررة لا الأبرار للدلالة على الكثرة لأنهم كلهم كذلك بخلاف البشر. فهذا أحد الأوجه التي يمكن تخريجها عليه ولها أوجه أخرى ربما عرضنا لها في موطنها.

جمع الصفات

الجمع السالم

ذكرنا أن الأصل في الجمع السالم أنه يفيد القلة غير أن هذا القول ليس على إطلاقه وإنما يحتاج إلى تفصيل ، فإن هذا الجمع يدل على القلة في الجوامد ، وأما في الصفات فإن دلالة على القلة ليست مطردة بل نستطيع أن نقول: إن الأصل فيه عدم دلالة على القلة وإنما الأصل فيه أن يدل على الحدث ، فجمع الصفات جمعاً سالماً يُقَرَّبُها من الفعلية وتكسيروها يبعدها من الفعلية إلى الاسمية .

قال ابن يعيش : «اعلم أن تكسير الصفة ضعيف والقياس جمعها بالواو والنون ، وإنما ضعف تكسيروها لأنها تجري مجرى الفعل وذلك أنك إذا قلت : زيد ضارب ، فمعناه : يَضْرِبُ أو ضَرَبَ إذا أردت الماضي ، وإذا قلت : مَضْرُوب فمعناه : يُضْرَبُ أو ضُرِبَ لأن الصفة في افتقارها إلى تقدم الموصوف كالفعل في افتقاره إلى الفاعل . . . فكان القياس ألا تُجمع كما أن الأفعال لا تجمع .

فأما جمع السلامة فإنه يجري مجرى علامة الجمع من الفعل إذا قلت : يقومون ويضربون فأشبهه قولك : قائمون يقومون ، وجرى جمع السلامة في الصفة مجرى جمع الضمير في الفعل لأنه يكون على سلامة الفعل ، فكل ما كان أقرب إلى الفعل كان من جمع التكسير أبعد وكان الباب أن يجمع جمع السلامة لما ذكرناه أن ضاربون ومضروبون يشبه يَضْرِبُونَ وَيُضْرَبُونَ من حيث سلامة الواحد في كل منهما وأن الواو للجمع والتذكير كما كانت في الفعل كذلك . وقد تُكسر الصفة على ضعفٍ لغلبة

الاسمية، وإذا كثر استعمال الصفة مع الموصوف قويّت الوصفية وقلّ دخول التكسير فيها، وإذا قلّ استعمال الصفة مع الموصوف وكثر إقامتها مقامه غلبت الاسمية عليها وقويّ التكسير فيها»^(١).

وجاء في «شرح الرضي على الشافية»: «اعلم أن الأصل في الصفات أن لا تكسر لمشابتها الأفعال وعملها فيلحق للجمع بأواخرها ما يلحق بأواخر الفعل وهو الواو والنون فيتبعه الألف والتاء لأنه فرعه... ثم إنهم مع هذا كله كسّروا بعض الصفات لكونها أسماء كالجوامد وإن شابهت الفعل.

وتكسير الصفات المشبهة أكثر من تكسير اسم الفاعل في الثلاثي إذ شَبَّهَها بالفعل أقلّ من شَبَّهه»^(٢).

وهذا الذي ذكره ابن يعيش وغيره صواب فإن جمع الصفات جمعاً سالماً يدل على إرادة الحدث وجمعها جمع تكسير يُبعدها عن إرادة الحدث ويقربها إلى الاسمية. قال تعالى: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال: ﴿وَأَنَّا لَمُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]، وقال: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] أي: الذين يحفظون فروجهم والذين يحفظون حدود الله ونحوها ولم يقل: والحفاظ أو والحفظة فروجهم وذلك لأن التكسير يبعدها عن الحدث.

وقال: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا كُنُوزَهُمْ وَمَا أَنشَرْنَاهُمْ إِلَّا بِمِائِدَةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحجر: ٢٢]، ولم يقل: وما أنتم له بخزنة. وقال: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزِّنْهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩] فأنت تلاحظ أن (خازنين) تفيد الفعلية بخلاف (خزنة) فإنها لا تدل على الفعل وإنما تدل على الاسم إذ هو اسم لصنف من الملائكة الموكلين بالنار.

وقال: ﴿وَأَنَّا بِهِ كَاذِبُونَ﴾ [الزخرف: ٣٠]، وقال: ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِي

(١) «ابن يعيش» (٥ / ٢٤)، وانظر (٥ / ٣).

(٢) «شرح الرضي على الشافية» (٢ / ١١٦).

رَبِّهِمْ لَكُفْرُونَ﴾ [الروم: ٨]، ولم يقل بقاء ربهم لكفار أو كفرة لأن في (كافرين) معنى الحدث فتعلق به الجار والمجرور أكثر من عشر مرات في القرآن لقرب هذا الجمع من الفعلية ولم يتعلق مرة واحدة بالكفار أو الكفرة مع تردهما في اثنين وعشرين موطناً في القرآن الكريم.

ويوضح هذا الأمر استعمال القرآن للرواسي والراسيات جمع (راسية) فقد وردت (الرواسي) تسع مرات في القرآن الكريم كلها بمعنى الجبال كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا﴾ [الرعد: ٣]، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، ولم ترد (راسيات) إلا مرة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَقُدُورًا رَاسِيَةً﴾ [سبأ: ١٣].

فأنت ترى أنه لما أراد الاسمية جمعها جمع تكسير ولما أراد الحدث جمعها جمعاً سالماً.

ومما يوضح هذا الأمر أنك تقول: (إنا كاتبون لك هذا الأمر) ولا يحسن أن تقول: (إنا كتّبة لك هذا ولا كُتّاب لك هذا الأمر)، وتقول: (نحن حافظون لكم ثروتكم) ولا يحسن أن تقول: نحن حَفَظَة لكم ثروتكم أو حُفَاط. وتقول: (نحن بائعون غداً دورنا) ولا تقول: نحن باعة غداً دورنا. وتقول: (نحن زارعون غداً أرضنا) أي: نزرع، ولا تقول: (نحن زُرَاع غداً أرضنا)، وتقول: (نحن قائدون زيدا إلى داره) أي: نقوده، ولا تقول: نحن قادة زيدا إلى داره.

فاتضح بهذا أن الجمع السالم يدل على إرادة الحدث والتكسير يباেه عن ذلك.

ومما يزيد الأمر اتضاحاً أنك تقول: (القادة قائدون جيوشهم) والباعة بائعون أمتعتهم، والقضاة قاضون في هذا الأمر، وهكذا فتستعمل التكسير للاسم والجمع السالم للحدث ولا تقول: القادة قادة جيوشهم ولا الباعة باعة أمتعتهم ولا القضاة قضاة في هذا الأمر مفرقاً بين إرادة الاسم وإرادة الحدث.

وهذا ما نفعله في لغتنا الدارجة فنفرق بين الجمع السالم وجمع التكسير فنريد بالسالم الدلالة على الحدث وبالتكسير الدلالة على الاسمية فنقول مثلاً: ذهبنا إلى

الحفل ووجدنا اللواعيب لاعبين ومنتهمين. فاللواعيب جمع لاعوب أي: اللاعب و(اللواعيب) اسم لهذا الصنف من الناس الممارس للعب. ونريد به (لاعبين) الحدث أي: لعبوا، ولا يقولون: وجدنا اللاعبين لاعبين ولا وجدنا اللواعيب لواعيب ومنتهمين يفرقون بين التكسير والجمع السالم.

ومثله: «ذهبنا إلى المحكمة فوجدنا الحكام حاكمين بالقضية ومنصرفين». فأنت تلاحظ أن المقصود بالحكام هذا الصنف المعين من الناس، ومعنى (حاكمين) حكموا أي إرادة الحدث ولا يقولون: وجدنا الحكام حكاماً بالقضية أو الحاكمين حاكمين.

ومثله: راجعنا الدائرة ووجدنا الكتاب كاتبين الكتاب، فأنت ترى أن المقصود بالكتاب اسم لهذا الصنف المخصوص من الناس و(كاتبين) بمعنى (كتبوا) يفرقون بين السالم والتكسير.

والأمر أوضح من أن يُفاض فيه بعد هذا.

جمع التكسير

ذكرنا أن الأصل في الصفات أن تجمع جمعاً سالماً وذكرنا دلالة هذا الجمع . وقد تجمع جمع تكسير ، وأشهر أوزان جمع التكسير للصفات هي :

١ - فُعَال (بضم الفاء وتشديد العين) :

ويطرد جمعاً لو صف صحيح اللام على فاعل لمذكر كصائم وصوام وندر في فاعلة كصَدَاد جمع صَادَة^(١).

وهذا الجمع يدل على كثرة القيام بالفعل كالزُّرَاع والحفَّاز والقراء والطلاب ، وقد يدل على الحركة أيضاً كأن تقول : جاؤوا طُلَّابٌ ثارٍ ، أي : يطلبون ثاراً ، ففيه الدلالة على الحركة والحدث .

وأشهر دلالة لهذا البناء هي التكثير والمبالغة في القيام بالفعل فإن لم يكثروا من القيام بالفعل فلا يطلق عليهم هذا الجمع ، فليس كل مَنْ يزرع شجرة - مثلاً - هو من الزراع حتى يُكثِرَ من ذلك . تقول : هم زارعون أشجاراً في حديقتهم ، أي : يزرعون ، ولا تقول (هم زراع) حتى يكثروا من الزراعة وتكون الزراعة حرفة أو كالحرفة لهم .

وتقول : قدم الحفَّاز والقراء لمن كان قيامهم بالفعل واتصافهم به كثيراً .
فهذا الجمع لتكثير القيام بالفعل لا لتكثير العدد ، فلا تُسمي من حفظوا بيتاً واحداً

(١) «ابن عقيل» (٢ / ٤٦١ - ٤٦٢) ، «الآشمووني» (٤ / ١٣٣ - ١٣٤) ، «معجم الهوامع» (٢ / ١٧٧) ،
«البهجة المرضية» (١٩٨) .

أو قصيدة واحدة حُفَظًا، ولا من يقرؤون سورة واحدة قرأء ولو زادوا على الألف .

تقول : مَنْ فيكم يحفظ هذا البيت؟ فيقال : كلنا حافظوه .

وتقول : من منكم قرأ هذه السورة؟ فيقال : كلنا قارئوها . ولا يقال : كلنا حفاظ أو قراء .

وكذلك الكتاب هم الذين يكتبون كثيراً فلا نقول لمن يكتبُ مقالة واحدة هو من الكتاب حتى يُكثَر .

تقول : نحن قارئون هذه السورة أو الآية، أي : نقرؤها، ولكن لفظ القراءة يطلق على الذين يكتبون القراءة ويعرفون أمورها ودقائقها كالقرءاء السبعة، وإنما أُطلق لفظ القرءاء على القرءاء السبعة مع أنهم قلة لأن لهم علماً واسعاً بالقراءات وأحكامها وإطلاعاً كبيراً لأنهم يقرؤون القرآن .

فالجمع السالم يدل على القيام بالحدث كالفعل وهذا الجمع يدل على تكثير القيام بالفعل وإن كان المكثرون يقع عددهم على أدنى الجمع، فأنت تقول للألف إذا قرؤوا سورة واحدة هم قارئون، وتقول للثلاثة إذا كان قيامهم بالأمر كثيراً واتصافهم به كبيراً : هم قرءاء .

وتقول لمن يكتبون صفحة واحدة : هم كاتبون صفحة، وإن كان عددهم يزيد على الألف، وتقول : هم كتاب لمن مارسوا الكتابة وأكثرها منها وإن كان عددهم ثلاثة .

فمُفْعَلٌ إذن لتكثير القيام بالفعل لا لتكثير القائمين به .

ومن الطريف اتفاق وزن المبالغة في المفرد ووزن التكثير في الجمع فنقول : هو كَرَامٌ وحُسَانٌ وقرءاء ونقول : هم قرءاء وكتاب . فاتفاق الوزنين يؤذن بقرب المعنيين .

ولا يبعد أن يدعي أحد أن مُفْعَالاً في المبالغة منقول من الجمع فمعنى رجل كَرَامٌ أنه يقوم مقام جماعة كريمة، وحُسَانٌ يقوم مقام جماعة بالغة في الحسن، وهو قولٌ

حسنٌ لولا أنه لا يمكن أن يعم في نحو: هو قَصَّار، أي: قصير، وصُغَّار، أي: صغير، فلا يحسن القول أنه يقوم مقام جماعة قِصار أو صِغار إلا بتأويل بعيد.

ويمكن القول أن هذا هو الأصل ثم اختص بالمبالغة وليس شرطاً أن يتساويا من كل وجه.

كما لا يبعد أن يدعي مدَّع أن هذا الجمع مأخوذ من اسم الآلة (فُعَّال) كالكُلَّاب والخُطَّاف فكان أصحاب هذا الجمع آلة للقيام بالفعل لكثرة قيامهم بالأمر.

٢ - فَعَلَة (بفتح الفاء والعين):

ويطرد في وصف لمذكر عاقل على فاعل صحيح اللام نحو: كامل كَمَلَة وكاتب كَتَبَة، فإن كان الوصف معتل اللام فهو على فَعَلَة كرام ورماء وقاض وقضاة^(١).

ويطلق هذا الجمع على الصنف من العقلاء كالباعة والقادة والقضاة والصاغة والكتبة، فإن هذه التاء تُحوّل الوصف إلى الاسمية كما مر ذكره في المبالغة. فأنت تقول: الباعة بائعون دورهم، والقادة قائدون جيوشهم، والقضاة قاضون في هذه المسألة، والطلبة طالبون للعلم. فأنت تلاحظ أن هذا الجمع يدل على الصنف المعين من العقلاء وليس فيه معنى الحدث، فليس كل من يقضي في مسألة هو من القضاة، ولا كل من باع شيئاً هو من الباعة، وإنما القضاة والباعة اسم لهذا الصنف المعين.

فالفرق بين هذا الجمع والجمع السابق أنه ليس في هذا الجمع الحركة والتكثير اللذين في فُعَّال. فالطلبة اسم لهذا الصنف من الناس والطلاب هم الذين يمارسون هذا الفعل كثيراً. والصاغة اسم لهذا الصنف من الناس والصُّوَّاع للذين يصوغون كثيراً. فكلمة (الصاغة) تشمل كل من انتسب إلى هذه الحرفة ولو قبل يوم واحد، وأما الصُّوَّاع فتطلق على الذين صاغوا كثيراً، والكتبة تشمل كل من انتسب إلى صناعة الكتابة ولو قبل

(١) «معجم الهوامع» (٢ / ١٧٧ - ١٧٨)، «البهجة المرضية» (١٩٧)، «سيبويه» (٢ / ٢٠٦)، «المقتضب» (٢ / ٢٢١)، «ابن يعيش» (٥ / ٥٤).

يوم واحد كالموظفين في الدوائر، وأما الكتاب فهم الذين مارسوا الكتابة وأكثروا منها.

ومما يدل على غياب الحدث والحركة من هذا الجمع أن هذا الجمع ورد في سبعة عشر موطناً في القرآن الكريم ليس فيها اسم واحد متعلقاً بمجرور أو ظرف أو عاملاً أي عمل، والجموع هي:

بررة ١

حفظه ١

خزنة ٣

سحرة ٨

سفرة ١

كفرة ١

فجرة ١

ورثة ١

٣ - فُعَل (بضم الفاء وتشديد العين):

ويطرد جمعاً لوصف على فاعل وفاعلة صحيح اللام: كضَرْبٍ في ضارب وضاربة^(١).

ويدل هذا الجمع على الحركة الظاهرة كما أن فيه الدلالة على تكثير القيام بالفعل. غير أن أبرز دلالة فيه هي دلالة على الحركة الظاهرة ويختلف عن فُعَال في أن الحركة في هذا البناء أوضح وأكثر وذلك لقصره عن فُعَال فإنما قصرت المدة للحركة فيه، فإن الحركة تحتاج إلى السرعة التي تنافي المد، ولذلك كانت مصادر الأفعال

(١) «ابن عقيل» (٢ / ٤١)، «الأشموني» (٤ / ١٣٣ - ١٣٤)، «الهمع» (٢ / ١٧٧)، «البهجة المرضية» (١٩٨).

المتعدية على وزن (فَعَلَ) غالباً للدلالة على الحركة فنقول: صَدَّه صَدًّا وَصَدَّ عَنْهُ صَدُودًا، ووقفه وقفًا ووقف وقوفًا فحذفت المدة لقوة حركة التعدي وهكذا في فَعَلَ .

جاء في «البرهان» في قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَافِّينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]: «هلا قيل السُّجْد كما قيل الرُّكْع وكما جاء في آية أخرى ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩].

والجواب: أن السجود يطلق على وضع الجبهة بالأرض وعلى الخشوع فلو قال: (السُّجْد) لم يتناول إلا المعنى الظاهر ومنه ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ وهو من رؤية العين، ورؤية العين لا تتعلق إلا بالظاهر فقصد بذلك الرمز إلى السجود المعنوي والصورى بخلاف الركوع فإنه ظاهر في أعمال الظاهر التي يشترط فيها البيت كما في الطواف والقيام المتقدم دون أعمال القلب»^(١).

وجاء في «بدائع الفوائد»: «فإن قيل: فَلِمَ قال (السجود) على وزن فَعُول ولم يقل (السُّجْد) كالرُّكْع وفي آية أخرى ﴿رُكْعًا سُجَّدًا﴾؟ وَلِمَ جمع ساجد على السجود ولم يجمع راع على ركوع؟

فالجواب: السجود في الأصل مصدر كالخشوع والخضوع وهو يتناول السجود الظاهر والباطن ولو قال: (السُّجْد) في جمع ساجد لم يتناول إلا المعنى الظاهر وكذلك الركع. ألا تراه يقول: ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ وهذه رؤية العين وهي لا تتعلق إلا بالظاهر»^(٢).

وهذا صحيح فإن لفظ (السُّجْد) ورد في القرآن في أحد عشر موطناً كلها للدلالة على الحركة الظاهرة وهي قوله: ﴿تَرْتَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿وَحَرُّوا لِمُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يُنْفِقُوا ظِلَالُهُمْ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨]، وقوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ في ثلاثة

(١) «البرهان» للزركشي (٣/ ٢٥٠ - ٢٥١).

(٢) «بدائع الفوائد» (١/ ٦٥ - ٦٦).

مواطن^(١). وقوله: ﴿إِذَا يَسْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وقوله: ﴿فَأُلْفِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ [طه: ٧٠]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، وقوله: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٥٨]، وقوله: ﴿إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ [السجدة: ١٥].

ولم يرد لفظ السجود جمع ساجد إلا في موطنين هما قوله: ﴿أَن طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، للدلالة على السجود الحقيقي وهو الخشوع وهو مناسب للتطهير في الآية، فإن الخشوع يدل على طهارة الباطن وهو مناسب لطهارة البيت وليس المراد به السجود الظاهري وحده.

فكل ما ورد في القرآن من لفظ (السُّجْد) ظاهر في هذا المعنى، أي: الدلالة على الحركة الظاهرة.

وقد يدل هذا الجمع على التكرير - كما ذكرنا - وذلك نحو قولهم: «قوم رُحِّلَ، أي: يرحلون كثيراً»^(٢).

وأرى أن مثله قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ * الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ [التكوير: ١٥ - ١٦] فالخنس والكنس فيما أرى هن اللاتي يخسن ويختفين كثيراً لا مرة واحدة والتكرير ظاهر في هذا الجمع فيما أحس. ومنه حديث الحجاج: إن الإبل ضُمَزَ خَنَسٌ ما جُشِمَتْ جُشِمَتْ. فالخنس جمع خانس أي: متأخر، والضمر جمع ضامز وهو الممسك عن الجرة، أي: أنها صوابر عن العطش وما حَمَلَتْهَا حملته^(٣).

فأنت تحس التكرير في هذا البناء.

ومن الطريف أن يشبه هذا البناء بناء (فُعَل) في المبالغة الدال على الحركة

(١) البقرة: [٥٨]، النساء: [١٥٤]، الأعراف: [١٦١].

(٢) «لسان العرب» (رحل) (١٣ / ٢٩٤).

(٣) «لسان العرب» (خنس) (٧ / ٣٧٣).

والتكثير كقولهم: قُلِّبَ وَحُوِّلَ، أي: سريع التقلب والتحول.
واتفاق الوزنين يؤذن بتقارب المعنيين كما ذكرنا في فُعَّال.

٤ - فواعل :

وهو لجمع (فاعلة) صفة أو اسماً نحو: ضوَّارِب جمع ضاربة وفاطمة وفواطم وناصية ونواصي. ولجمع (فَوَعْل) نحو: جوهر وجواهر، و(فَاعِل) بفتح العين نحو: طابَع وطوابع، و(فاعلاء) نحو: قاصعاء وقواصع، و(فَاعِل) اسماً لا وصفاً عَلَماً أو غير علم نحو: جابر وجوابر وكاهل وكواهل، و(فاعل) صفة مؤنث نحو: حائض وحوائض وصفة ما لا يعقل نحو: صاهل وصواهل، و(فوعلة) نحو: صومعة وصوامع وندر في غير ذلك^(١).

وقد مر بنا أن (فاعلة) وصفاً تجمع على (فُعْل) أيضاً مثل ضُرِّب، والفرق بين فُعْل وفواعل أن فُعْلاً - كما مر - فيه عنصر الحركة بخلاف هذا الجمع الذي ليس فيه هذا العنصر بل هو أقرب إلى الاسمية وأدل على الثبوت فإنه - كما رأيت - وزن لجمع الأسماء أكثر مما هو لجمع الصفات.

فالرَّحَل هم الذين يرتحلون كثيراً، والرواحل جمع الراحلة وهي كل بغير نجيب^(٢)، والرواسي هي الجبال، وأما الراسيات فيقصد بها الدلالة على الحدث، وقد مر بنا أن الرواسي وردت تسع مرات في القرآن الكريم كلها بمعنى الجبال بخلاف الراسيات التي فيها الدلالة على الفعلية قال تعالى: ﴿وَقُدُّوْهُ رَاسِيَةً﴾ [سبأ: ١٣].

ولذا يجمع على هذا الجمع ما تحوَّل من الصفات إلى أسماء أو ما كان قريباً من ذلك كالنازلة وهي الشديدة التي تنزل بالقوم وجمعها النوازل^(٣) لا التَّزَل، وقواعد البيت، أي: أساسه جمع قاعدة وهي أصل الأس ولا يقولون قَعْد.

(١) «التصريح» (٢ / ٣١٢)، «الأشْمُونِي» (٤ / ١٤٠)، «ابن يعيش» (٥ / ٢٧).

(٢) «لسان العرب» (رحل) (١٣ / ٢٩٤).

(٣) «لسان العرب» (نزل) (١٤ / ١٨٢).

فهذا البناء ليس فيه عنصر الحركة الذي في فُعَل، فنحن إذا أردنا تكثير القيام بالفعل أو الدلالة على الحركة الظاهرة جمعناه على فَعَل وإلا جمعناه على فواعل، ولذا يقول العرب: الزواجر والنواهي والصواعق والخوالب والنوازل والعواصم والقواصم والدواهي والقوافي، ورجال عوارف جمع عارفة، وبواقع ودواج جمع باقعة وداهية، ولا يجمعونها على فَعَل لأنهم يريدون بذلك الاسمية أو القرب من الاسمية.

٥- فُعْلان:

وهو من جمع الأسماء لا الصفات: كبطن وبُطْنان، وقضيب وقضببان، وذكر وذُكران، ويحفظ في الصفات كراع ورعيان وأفعَل فَعْلَاء كسودان وعميان جمع أسود وأعمى^(١).

وما جمع من الصفات هذا الجمع فإنما أُريد به الاسمية أو القرب منها، قال سيبويه: «وقالوا فُعْلان في الصفة كما قالوا في الصفة التي ضارعت الاسم وهي إليه أقرب من الصفة إلى الاسم وذلك راع ورعيان وشاب وشبان»^(٢).

وجاء في «شرح الرضي على الشافية»: «وإذا انتقل (فاعل) من الصفة إلى الاسم كراكب الذي هو مختص براكب البعير... وفارس المختص براكب الفرس، وراع المختص برعي نوع مخصوص ليست كما ترى على طريق الفعل فإنه يجمع في الغالب على فُعْلان كحُجران في الاسم الصريح»^(٣).

وقال ابن يعيش: «قالوا: راع ورعيان وشاب وشبان وصاحب وصحبان شبهوه بالاسم حيث قالوا: فالتق وفلقان وحاجر وحجران وليس بالكثير»^(٤).

وجاء في «المخصص»: «وأما صحبان فلأنه قد غلب غلبة الأسماء فأجري في

(١) «الأشْمُونِي» (٤ / ١٣٨)، «التصريح» (٢ / ٣١١)، «الهمع» (٢ / ١٧٨)، «ابن يعيش» (٥ / ٦٠).

(٢) «سيبويه» (٢ / ٢٠٦)، وانظر «الرضي على الشافية» (٢ / ١٥٧ - ١٥٨).

(٣) «الرضي على الشافية» (٢ / ١٥٢).

(٤) «ابن يعيش» (٥ / ٥٤).

التكسير مجرى حاجر وحجران^(١) فقد تبين أن هذا من أبنية جموع الأسماء لا الصفات وأن ما جمع من الصفات هذا الجمع فلقرية من الاسمية أو لإرادة الاسمية، فالسود جمع أسود والسودان جمع أسود أيضاً غير أن السودان اسم لهؤلاء الصنف من الناس. والعُمي جمع أعمى ولكن العميان اسم لهؤلاء الصنف من الناس الفاقدي البصر فتقول: أقبل العميان كما تقول: أقبل القضاة والباعة والصاغة.

وقد استعمل القرآن هذا الجمع للقلة النسبية، قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]، فقد وردت لفظة (عميان) مرة واحدة وهي هذه، ووردت لفظة (عُمي) في سبعة مواطن هي قوله:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ [النمل: ٨١]، الروم: ٥٣]، وقوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف: ٤٠].

وهي كما ترى كلها في وصف أهل الكفر والضلال وأرى أن سبب هذا التغير ما ذكرته، وهو أن عباد الرحمن أقل من الكفرة دائماً كما يصرح القرآن الكريم في مواطن عديدة قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، فجاء بهذا اللفظ مع عباد الرحمن الذين هم قلة للدلالة على القلة النسبية.

ومما يؤيد ذلك استعماله للذكور والذكرا فإن الذكرا حيث وردت في القرآن الكريم يراد بها القلة النسبية بخلاف الذكور، قال تعالى: ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِ شَاءَ وَنَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورُ * أَوْ يُرْجِيهِمْ ذُكْرَانًا وَإِنِ شَاءَ وَجَعَلُ مِنْ يَشَاءَ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠]

(١) «المخصص» (١٢ / ٢٤٦).

فاستعمل الذكور للكثرة والذكرا للقلة النسبية، فإن العادة أنه إذا أفرد شخص بالذكور كانوا أكثر من أن يقرنهم بالإناث فإن المرأة إذا ولدت ذكورا فقط كان عدد الذكور أكثر في العادة من أن تلد ذكرا وإناثا.

وقال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، وقال: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَفْئَةِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩] فاستعمل الذكران للقلة النسبية فإن الموصوفين بهذه الصفة لا يأتون جميع الذكور وإنما يأتون صنفاً خاصاً منهم. ألا ترى أنهم لا يأتون الأطفال والشيخوخ وإنما يأتون مَنْ تَسْتَسِيغُهُ نفوسهم المنكوسة من الذكران وهم أقل من مجموع الذكور بخلاف قوله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ فإنه يشمل جميع الذكور بلا استثناء والله أعلم.

٦ - الجمع على وزن المصدر:

قد يؤتى بالجمع على وزن مصدر فعله كالحضور والسجود والقعود والقيام والصيام ويكون للدلالة على المعنى الحقيقي للفعل. وإنما جيء بالجمع على وزن مصدره للإشارة إلى هذا الأمر.

من ذلك ما سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿الرَّكَعَ السَّجُودَ﴾ والفرق بينه وبين (السُّجْد)، فقد ذكرنا أن السُّجْد للحركة الظاهرة والسجود لحقيقة الفعل وهو الخشوع القلبي.

ومنه ما ذكرنا في (القعود) و(القاعدين) وعرفنا أنه استعمل القعود حيث وردت بمعنى القعود الحقيقي والقاعدين للقعود عن الجهاد كقوله تعالى: ﴿فَيَنكَمَا وَقُعودًا﴾، وقوله: ﴿فَتَبَطَّهْمُ وَقِيلَ أقمِدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

ونحوه ما سبق ذكره في (القيام) و(القائمين) جمع قائم، فقد عرفنا أن القرآن استعمل القيام حيث وردت بمعنى القيام الحقيقي كقوله تعالى: ﴿فَيَنكَمَا وَقُعودًا﴾ واستعمل القائمين بمعنى القيام بالأمر والعكوف.

فدل هذا على أن الجمع على وزن مصدره إنما يؤتى به للدلالة على المعنى

الحقيقي للفعل كما مثلنا .

٧ - فعلى وفعالى :

وهو جمع لما دل على آفة من هلاك أو نقص من فعيل بمعنى مفعول : كجريح وجرحى ، وحمل عليه ستة أوزان مما دل على آفة . من ذلك فعيل للفاعل : كمريض ومرضى ، وفَعِلَ : كزَمِنَ وزمِنى ، وفاعل : كهالك وهلكى ، وفَعِلَ : تَمَيَّت وموتى ، وأفَعَلَ : كأحمق وحمقى ، وفَعَلان : كسكران وسكرى^(١) .

ودلالة هذا الجمع بَيِّنُها النحاةُ وهي الدلالة على الآفات والمكروه والهلاك والتوجع .

قال سيويه : «وقال الخليل : إنما قالوا : مرضى وهلكى وموتى وجربى وأشباه ذلك لأن ذلك أمر يُبْتَلَوْنَ به وأدخلوا فيه وهم له كارهون . وقد قالوا : هَلَّاك وهالكون فجاءوا به على قياس هذا البناء وعلى الأصل فلم يكسروه على المعنى إذ كان بمنزلة جالس في البناء وفي الفعل وهو على هذا أكثر في الكلام . . . وقالوا : مائق ومَوْقى وأحمق وحمقى وأنوَّك ونوَّكى ، وذلك لأنهم جعلوه شيئاً قد أُصِيبوا به في عقولهم كما أُصِيبوا ببعض ما ذكرنا في أبدانهم . . .

وقد قالوا : رجل سكران وقوم سكرى وذلك لأنهم جعلوه كالمرضى ، وقالوا : رجال رَوْبى جعلوه بمنزلة سكرى . والرَّوْبى الذين قد اسْتُثْقِلوا نوماً فشبهوه بالسكران . وقالوا للذين قد أثخنهم السفر والوجع رَوْبى أيضاً والواحد رائب . وقالوا : زَمِنَ وزمِنى وهرم وهرمى وَضَمِنَ وضمِنى كما قالوا : وَجَعى لأنها بلايا ضُربوا بها فصارت في التكسير لذا المعنى ككسبر وكَسَرى . . .

كما قالوا : يتيم ويتامى وأَيِّم وأيامى فأجروه مجرى وجاعى ، وقالوا : حذارى لأنه كالخائف . . . وقد جاء منه شيء كثير على فعالى قالوا : يتامى وأيامى شَبَّهوه

(١) انظر «التصريح» (٢ / ٣٠٧) ، «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» (٢ / ١٥٧) .

بوجاعى وحباطى لأنها مصائب قد ابتلوا بها فشبهت بالأوجاع حين جاءت على فعلى^(١).

وجاء في «الرضي على الشافية»: «وقالوا: وجعى أيضاً في جمع وجع مع أن قياس فعلى أن يكون جمع فعيل بمعنى مفعول كقتلى وجرحى لكنه حُمِلَ وجِعٌ ومَيِّتٌ وهالكٌ وأجرب ومريض وأشباه ذلك عليه لأن هذا أمر يُبتَلون به إذ دخلوا فيه وهم له كارهون^(٢)».

وقال ابن يعيش: «خصصوا بفعلى ما كان به آفة من نحو: قتلى ومرضى ولا يجمع عليه إلا ما أصابته بلية، نحو: جريح وجرحى وزمن وزمنى... وقالوا: وجِعٌ ووجعى، جاؤوا به على فعلى كما قالوا: هلكى وزمنى لأنها بلايا وآفات فأجروها مجرى قتلى وجرحى... وقالوا أيضاً: وجاعى وهو أيضاً بناء لما يكون آفة وبلية إلا أن فعلى فيه أكثر^(٣)».

فلا يجمع كل فعيل بمعنى مفعول على فعلى، وإنما يجمع هذا الجمع ما دل على مكروه أو آفة فلا يقال: حميد وحمدى ولا يجمع كل فاعل على فعلى فلا يقال: كاتب وكتبى ولا كل أفعل على فعلى فلا يقال: أحمر وحمرى، وإنما يجمع من كل ذلك ما تضمن آفة أو بلاء فيقال: هالك وهلكى وأجرب وجربى ونحوها.

جاء في «معاني القرآن» للفراء: «العرب تذهب بفاعل وفعيل وفعل إذا كان صاحبه كالمريض أو الصريع أو الجريح فيجمعونه على الفعلى فيجعلوا الفعلى علامة لجمع كل ذي زمانة وضرر وهلاك. ولا يبالون أكان واحده فاعلاً أم فعلاً أم فعلاً^(٤)».

وجاء في «شرح الرضي على الشافية»: «وليس يجمع كل فعيل بمعنى مفعول على فعلى؛ بل إنما يجمع عليه من ذلك ما كان متضمناً للآفات والمكاره التي يصاب بها

(١) «سيبويه» (٢ / ٢١٣ - ٢١٤).

(٢) «الرضي على الشافية» (٢ / ١٢٠).

(٣) «ابن يعيش» (٥ / ١٥، ٢٥).

(٤) «معاني القرآن» (٢ / ٢١٥).

الحي كالقتل وغيره حتى صار هذا الجمع يأتي أيضاً لغير (فعل) المذكور إذا شاركه في المعنى المذكور كما يتبين، فإن أتى شيء منه بغير هذا المعنى لم يجمع هذا الجمع نحو: رجل حميد، ومنه: سعيد في لغة من قال: سَعِد... فلا يقال: حمدي ولا سعدى^(١).

وقال ابن يعيش: «اعلم أن الشيء يحمل على الشيء لمناسبة بينهما إما من جهة اللفظ وإما من جهة المعنى... وهذه الأسماء حملت على غيرها - يعني مرضى وهلكى وموتى ونحوها - لتقاربهما في المعنى، وذلك أن هذا البناء من الجمع إنما يجمع عليه (فعل) إذا كان في معنى مفعول وذلك بأن فعله مما لم يُسَمَّ فاعله من نحو: قَتِيل وجريح... ولا يجمع من ذلك على فعلى إلا ما كان من الآفات والمكاهة التي يصاب بها الحي وهو غير مريد لها، نحو: لذيغ وعقير... ولا يقال في حميد: حمدي لأنه ليس بآفة.

فأما مرضى وهلكى وموتى وجريح وزمنى فليس الباب فيها أن تجمع على فعلى لأن أفعالها لما سمي فاعله... فأما جمعهم إياه على فعلى فليس بالأصل وإنما هو بالحمل على جريح وجرحى وقتيل وقتلى لمشاركتها فاعلاً في معنى مفعول في المكروه...

ومثل مرضى وهلكى قولهم: أحمق وحمقى وأتوك ونوكى، والأنوك: الأحمق، جعلوا ما أصيبوا به في عقلهم بمنزلة ما أصيبوا به في أبدانهم ولا يجيء ذلك في كل ما كان مثله. ألا ترى أنك لا تقول في بخيل بخلى ولا في سقيم سقمى؟

وقالوا: يتامى وأيامى. شبهوها بوجاعى وحباطى لأنهما مصائب ابتلوا بها كالأوجاع لعدم القيم بأمورهما^(٢).

(١) «الرضي على الشافية» (٢ / ١٤٢ - ١٤٤).

(٢) «ابن يعيش» (٥ / ٨١ - ٨٢)، وانظر «ابن يعيش» (٥ / ٥١)، «المقتضب» (٢ / ٢١٩)، «الكليات» (٣٣١).

وجاء في «المخصص»: «فليس يجمع من ذلك على فعلى إلا ما كان من الآفات والمكاره التي يصاب بها الحي وهو غير مريد حتى صار هذا الجمع بغير الذي في معنى مفعول إذا شاركه في معنى المكروه كهلكتي وزمني وهرمي»^(١).

وجاء في «الكشاف» في اليتامى: «فإن قلت: كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى؟ قلت: فيه وجهان:

أن يجمع على يتامى كأسرى لأن اليتيم من وادي الآفات والأوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى...»^(٢).

فقد اتضح أن هذا البناء إنما يدل على المكاره والآفات والبلايا فأنت تجمع أحقق على حُقق، فإن أردت أن فيهم مقداراً من الحمق أصبح عليهم بلية وآفة جمعته على حمقى، وتقول: عطشان وعطاش، فإن أردت أن العطش استحکم فيهم حتى أصبح بلية عليهم وآفة نازلة قلت: عطاشي، وتقول: يتيم وأيتام، فإن أردت الإشارة إلى أن اليتيم أصبح على أصحابه آفة وبلية قلت: يتامى. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] فجعله على اليتامى لتشنيع فعلة الآكل، فهؤلاء يتامى مهضومون أثر عليهم اليتم حتى أصبح بلية نازلة عليهم فكيف يسوغ أكل مالهم ظلماً؟ وكيف تطيب نفس الآكل بأكل أموال هؤلاء اليتامى؟!

ولم يأت بالأيام فإن (اليتامى) أنسب في هذا المقام ولها من الدلالة والإيحاء ما ليس في (الأيام) فإن (الأيام) جمع يتيم من غير إشارة إلى أثر هذا اليتيم عليهم.

واستقراء النحويين لهذا الوزن استقراء جيد وليتهم فعلوا مثل ذلك في سائر أبنية الجمع الأخرى ولو فعلوا لأدوا خدمة كبيرة إلى العربية، فإننا نعتقد أن الأوزان كلها لها دلالات ومعان خاصة كما في (فعلى) وأنه ليس من المعقول أن يختص (فعلى) بمعنى

(١) «المخصص» (١٦ / ١٥٥).

(٢) «الكشاف» (١ / ٣٧٣).

دون غيره من الأبنية .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى أننا نرى أن الوصف الواحد قد يجمع على أبنية عدة فتكون دلالته بدلالة الوزن المجموع عليه ، فإن جمع على (فُعَال) أفاد التكثير مثلاً ، وإن جمع على (فعلى) دلّ على الآفات وهكذا .

٨ - فُعَلَاء وفِعَال :

ويطرد فعلاء جمعاً لفعل وصف ذكر عاقل بمعنى فاعل أو مُفعل أو مُفاعل : ككريم وكُرماء ، وما دل على سجية مدح أو ذم من فُعَال بالضم أو فاعل : كشجاع وشجعاء وصالح وصلحاء .

فإن كان فعيل هذا مضاعفاً أو منقوصاً جمع على أفعلاء : كشديد وأشداء وتقي وأتقياء^(١) .

وربما جمع (فعيل) غير المنقوص صحيح العين أو مُعتلّها أو فعيلة على فِعَال كظريف وظريفة وظراف وكريم وكرام وطويل وطوال^(٢) . فوزن فُعَلَاء يدل على السجاي ما كان منها غريزة أو كالغريزة ذلك لأنه جمع (فعيل) ، و(فعيل) كما ذكرنا سابقاً يدل على السجاي والطباع ، ويدخل في هذا الوزن من فاعل أو غيره ما دل على ذلك .

قال ابن يعيش : «قالوا : شاعر وشعراء وجاهل وجهلاء ، شَبَّهوه بفعيل الذي هو بمنزلة فاعل نحو : كريم وكرماء وحكيم وحكماء ، لأنه إنما يقال ذلك لمن قد استكمل الكرم والحكمة ، وكذلك شاعر لا يقال إلا لمن قد صارت صناعته وكذلك جاهل فلما استويا في العدة وتقاربا في المعنى حمل عليه»^(٣) .

وجاء في «شرح الرضي على الشافية» : «وأكثر ما يجيء (فعلاء) في هذا الباب

(١) «الهمع» (٢ / ١٧٨) ، «شرح الألفية» لابن الناظم (٣٢٣) ، «البهجة المرضية» (١٩٩) .

(٢) «الهمع» (٢ / ١٧٧) ، وانظر «سيبويه» (٢ / ٢٠٧) .

(٣) «ابن يعيش» (٥ / ٥٤ - ٥٥) .

- يعني فاعلاً كجاهل - وغيره. إذا دل على سجية مدح أو ذم كجهلاء وجبناء وشجعاء^(١).

وقال ابن الناظم: «إن نحو: عاقل وصالح وشاعر مُشابهٌ لنحو: بخيل وكريم في الدلالة على معنى هو كالغريزة فهو كالتائب عن فعل فلماذا جرى مجراه»^(٢).

وجاء في «المقتضب»: «فأما قولهم: شاعر وشعراء فإنما جاء على المعنى لأنه بمنزلة فعل الذي هو في معنى الفاعل نحو: كريم وكرماء وظريف وظرفاء. وإنما يقال ذلك لمن قد استكمل الظرف وعُرفَ به. فكذلك جميع هذا الباب. فلما كان (شاعر) لا يقع إلا لمن هذه صناعته وكان من ذوات الأربعة بالزيادة وأصله الثلاثة كان بمنزلة (فعل) الذي ذكرناه»^(٣).

وجاء في «الخصائص» في «عالم وعلماء»: «قال سيوبه: يقولها من لا يقول (عليم) لكنه لما كان العلم إنما يكون الوصفُ به بعد المزاولة له وطولِ الملاسة صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلماً لا عالماً، فلما خرج بالغريزة إلى باب (فعل) صار عالم في المعنى كعليم، فكُسر تكسيره، ثم حمل عليه ضده، فقالوا: جهلاء كعلماء، وصار علماء كحلما؛ لأن العلم مَحْلَمَةٌ لصاحبه، وعلى ذلك جاء عنهم: فاحش وفحشاء، لما كان الفحش ضرباً من ضروب الجهل، ونقيضاً للحلم»^(٤).

فقد تبين أن (فُعلاء) للدلالة على الغرائز والسجايا ومثله (أفعلاء) في المضاعف والمنقوص. وربما جاء فعيل على (فعال) أيضاً فنقول: ضُعفاء وضِعاف جمع ضعيف، وكبراء وكِبار جمع كبير، وأشداء وشِدَاد جمع شديد فما الفرق بينهما؟

(١) «الرضي على الشافية» (٢ / ١٥٧ - ١٥٨).

(٢) «شرح الألفية» (٣٢٣)، وانظر «البهجة المرضية» (١٩٩).

(٣) «المقتضب» (٢ / ٢٢٠)، وانظر «بدائع الفوائد» (١ / ١١٠).

(٤) «الخصائص» (١ / ٣٨٢).

الذي يبدو لي أن (فُعلاء) يكاد يختص بالأمور المعنوية و(فِعَالاً) بالأمور المادية، فالثقل لمن فيهم ثقل الروح، والثقال للثقل المادي قال تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، وقال: ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]، وقال: ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ [الأعراف: ٥٧] فاستخدم الثقال للثقل المادي.

ومثله: الكبراء والكبار، فالكبراء هم السادة والرؤساء، والكبار هم كبار الأجسام والأعمار، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧] ولم يقل: ﴿كبارنا﴾ فليس المقصود بالكبراء كبار الأجسام أو الأعمار وإنما الكبير هنا كبير معنوي. ومثل الكبراء الرؤساء والشفعاء والأمراء والنقباء والعرفاء ولم تجمع هذه على الفعل كالرئاس والشفاع ونحوها لأنه ليس فيها جانب مادي بخلاف الكبراء والكبار.

ومثله: الضعفاء والضعاف، فالضعفاء هم المستضعفون من الأتباع والعوام^(١) وهو من الضعف المعنوي، وأما الضعاف فللضعف المادي ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]، وقوله: ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧].

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُوثُ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١].

وهذه كلها في الضعف المعنوي - كما ترى - فإذا أردت الضعف المادي قلت (ضعاف) كقولك هم ضعاف الأجسام.

وقد تعترض بقوله تعالى: ﴿وَلِيَحْنَسَ الَّذِينَ تَوَكَّلُوا مِنْ حَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةُ ضِعَفًا﴾ [النساء: ٩] فقد قال في موطن آخر: ﴿وَلَمْ ذُرِّيَّةُ ضِعَفَاءٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] فما الفرق بينهما؟ وهل هناك ضعف مادي أو معنوي في هاتين الآيتين؟

(١) «الكشاف» (٢/ ١٧٦).

وبالتأمل في الآيتين يتضح الجواب، فإن الآية الأولى هي: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَسْمَعُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

والآية الثانية: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَوْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

فأنت ترى أن قوله: (ضعافاً) يعني فيه الضعف المادي، أي: محتاجين إلى المال فقراء. وأما الثانية فليس المقصود بها الضعف المادي بل الضعف المعنوي، أي: عدم القيام بالأمر بدليل أن أباهم له جنة فيها من كل الثمرات وإنما هم ضعفاء إلى مَنْ يقوم بأمرهم، فثمة فرق بين الحالتين.

ومثله: أشداء وشِدَاد، فالأشداء جمع الشديد من الشدة المعنوية، والشداد جمع شديد من الناحية المادية، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] فقابل بين الشدة والرحمة وهما أمران معنويان.

وقال في وصف ملائكة العذاب: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُهُمْ غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦]، والذي يبدو أنهم شِدَاد الأجسام ضِخامها كما قال تعالى: ﴿وَبَيِّنَّا فَوْقَكُم سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبا: ١٢]، أي: مُحْكَمَةٌ قوية.

جاء في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتُهُمْ غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾: «في أجرامهم غِلظة وشِدَّة، أي: جفاء وقوة، أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رَأْفَةٌ في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه»^(١).

والذي يبدو لي أن المعنى الأول مطلوب إن لم يكن هو المطلوب، أي: في أجرامهم غِلظة وشِدَّة لأن هذا معنى (فِعَال) في الغالب والله أعلم.

ويبدو أن ما لم يجمع من (فَعِيل) على فَعَال سببه أنه لم يكن فيه جانب مادي في

(١) «الكشاف» (٣ / ٢٤٧)، وانظر «التفسير الكبير» للرازي (٣٠ / ٤٦).

الغالب كالبلید والسفيه والرحيم والسديد والبصير والحليم والحكيم والفقيه والعليم والعفيف ونحوها فإنها لا تجمع على (فعال) لعدم وجود الجانب المادي فيها .

وما جمع من (فعليل) على فعال ولم يجمع على فعلاء فلأنه ليس فيه جانب معنوي في الغالب كالصبيح والملح والسمين والديمي ونحوها .

ذكر سيويه أن العرب : «قد يدعون فعلاء استغناء بغيرها نحو قولهم : صغير وصغار، ولا يقولون : صُغراء، وسمين سمان ولا يقولون : سُمناء»^(١) .

والذي أراه أن هذا ليس من باب الاستغناء وإنما هو لما ذكرت من أنها لا تكون للجانب المعنوي . وقد ورد (صُغراء) جمع صغير في الشعر، أنشد أبو عمرو :

وللكبراءِ أكلٌ حيثُ شاؤوا . وللصُغراءِ أكلٌ واقتشام^(٢)

فقد جاء بمعنى الصغر النفسي لا الجسمي وهو من الصغار فقد جمعه على فعلاء، وأما الصغار فهو للصغر المادي . ومثله : قصراء وقصار جمع قصير^(٣) فالذي أحسّه أن القصار إنما هو للقصر المادي بمقابل الطوال، وأما القصراء فللمعنوي، أي : لا يستطيعون القيام بأمورهم وهكذا .

فالذي أراه أن الأصل في (فعلاء) أن يكون للسجاي النفسية وأن فعلاً للأوصاف المادية .

٩ - فعائل :

هو جمع لكل رباعي مؤنث بمدة قبل آخره مختوماً بالتاء أو مجرداً منها نحو : سحابة وسحائب، وحمولة وحمائِل، وصحيفة وصحائف، وشمال وشمائِل، وعجوز وعجائز^(٤)، ويكون جمعاً له (فعيلة) وصفاً كالصغائر والكبائر .

(١) «سيويه» (٢ / ٢٠٨)، وانظر «المخصص» (٢ / ٧٧ - ٧٨) .

(٢) «لسان العرب» (صفر) (٦ / ١٢٨) .

(٣) «لسان العرب» (قصر) (٦ / ٤٠٦) .

(٤) انظر «الأسموني» (٤ / ١٤١ - ١٤٢) .

والفرق بين هذا الجمع وجمع (فعيلة) على (فِعال) أن ما جُمِعَ على (فعائل) يراد به الاسمية لأن هذا الوزن من جموع الأسماء كالصحائف والقلائد والنصائح والرسائل، فما حُوِّلَ من الصفاتِ إلى الأسماء جُمِعَ على فعائل، وما أريد به الوصفية جمع على فِعال أو جمع جمعاً سالماً. فنقول: بنات كبار وصغار إذا أردتَ الوصفية، فإن أردتَ الاسمية قلت: الصغائر والكبائر، وهي اسم لكبائر الذنوب أو صغائرها، ومثلها: الكرائم والكرام، فالكرام وصف وأما الكرائم فيراد بها الاسمية، ونحوها: الشدائد والشداد، فالشداد وصف والشدائد اسم وهكذا.

النسب

النسب في العربية على صيغ متعددة أشهرها:

١ - النسب بإلحاق الياء المشددة في آخر الاسم:

وهذه أشهر صيغة للنسب، وهي الصيغة العامة له وتستعمل لعموم أغراضه كالنسبة إلى الأب أو الحي أو القبيلة أو البلد أو الصنعة أو الملة وسائر ما يُنسب إليه كالهاشمي والبهلي والعراقي والجوهري والنصراني والذهبي وغير ذلك.

قال سيويه: «اعلم أنك إذا أضفت رجلاً إلى رجل فجعلته من آل ذلك الرجل ألحقت ياء ي الإضافة، فإن أضفته إلى بلد فجعلته من أهله ألحقت ياء ي الإضافة، وكذلك إن أضفت سائر الأسماء إلى البلاد أو إلى حي أو قبيلة»^(١).

وجاء في «شرح الأشموني»: «إذا قصدوا نسبة شيء إلى أب أو قبيلة أو بلد أو نحو ذلك»^(٢) جعلوا حرف إعرابه ياء مشددة مكسوراً ما قبلها كقولك في النسب إلى زيد زيدي»^(٣).

وقد تلحق هذه الياء المشددة للمبالغة والقوة وإشباع معنى الصفة.

جاء في «الكشاف» في قوله تعالى ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾: «السخرى بالضم والكسر مصدر (سخر) كالسخر إلا أن في النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل:

(١) «سيويه» (٢ / ٦٩).

(٢) في «حاشية الصبان» (٤ / ١٧٧) (قوله أو نحو ذلك: كحرفة).

(٣) «الأشموني» (٤ / ١٧٧).

الخصوصية في الخصوص»^(١).

وجاء في «الخصائص»: «الاحتياط في إشباع معنى الصفة كقوله:

والدهر بالإنسان دَوَّارٍ

أي: دَوَّار.

وقوله:

غُضِفَ طواها الأَمْسُ كَلَّابِي

أي: كَلَّاب»^(٢).

٢ - فَعَّال :

وتكون هذه الصيغة لما كان صاحب شيء يزاوله ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه كالصنعة والمعالجة: كالفرَّاء والرِّقَّاء والرِّخَّاص والنَّسَّاج والنَّقَّاض والنَّجَّار والوشاء والدَّبَّاج، والطباع الذي يطبع السيوف، أي: يعملها، والجلَّاء والهدَّاب والفتال والخزاف والخراط والرِّصَّاص والنَّحَّاس والصَّفَّار والحدَّاد والقواس والزَّزَّاد وغيرها^(٣).

قال سيويه: «هذا باب من الإضافة تحذف فيه ياءي الإضافة وذلك إذا جعلته صاحب شيء يزاوله أو ذا شيء، أما ما يكون صاحب شيء يعالجه فإنه مما يكون فعَّالاً وذلك قولك لصاحب الثياب: ثَوَّاب، ولصاحب العاج: عَوَّاج، ولصاحب الجمال التي ينقل عليها: جَمَّال، ولصاحب الحُمُر التي يعمل عليها: حَمَّار، وللذي يعالج الصرف: صَرَّاف، وذا أكثر من أن يُحصى، وربما ألحقوا ياءي الإضافة كما قالوا: البتَّى أضافوه إلى البتوت فأوقعوا الإضافة على واحدة وقالوا: البتَّات»^(٤).

(١) «الكشاف» (٢ / ٣٧٠).

(٢) «الخصائص» (٣ / ١٠٤).

(٣) انظر «مبادئ اللغة» للإسكافي (١١٩ - ١٢٠).

(٤) «سيويه» (٢ / ٩٠).

ويذكر النحاة أن فعَّالاً في المبالغة أصلٌ لفعَّال التي يراد بها النسب فلما كانت فعال تفيد الكثرة في المبالغة أفادت كثرة المزاولة في النسب ولذلك جعلت للحرفة غالباً لأن صاحب الصنعة مزاولٌ لها.

جاء في «شرح الرضي على الشافية»: «إلا أن فعَّالاً لما كان في الأصل لمبالغة الفاعل ففعَّال الذي بمعنى ذي كذا لا يجيء إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه إما من جهة البيع كبقال، أو من جهة القيام بحاله كالجمَّال والبغال، أو باستعماله كالسيَّاف أو غير ذلك»^(١).

وقال ابن يعيش: «قولهم لصاحب البتوت، وهي الأكسية، واحدها بتٌّ بتات، ولصاحب الثياب ثواب... وهو أكثر من أن يحصى كالعطار والنقاش، وهذا النحو إنما يعملونه فيما كان صنعة ومعالجة لتكثير الفعل إذ صاحب الصنعة مداوم لصنعتة فجعل له البناء الدال على التكثير وهو فعال بتضعيف العين لأن التضعيف للتكثير»^(٢).

وجاء في «المقتضب»: (هذا باب ما يبنى عليه الاسم لمعنى الصناعة لتدل من النسب على ما تدل عليه الياء) «وذلك قولك لصاحب الثياب ثواب، ولصاحب العطر عطار، ولصاحب البز بزاز».

وإنما أصل هذا لتكرير الفعل كقولك: هذا رجل ضرَّاب ورجلٌ قتَّال، أي: يكثر منه، وكذلك خياط فلما كانت الصناعة كثيرة المعاناة للصف فعلوا ذلك وإن لم يكن منه فعل نحو: بزاز وعطار»^(٣).

وجاء في «المخصص»: «والباب فيما كان صنعة ومعالجة أن يجيء على فعَّال لأن فعَّالاً لتكثير الفعل، وصاحب الصنعة مداوم لصنعتة فجعل له البناء الدال على

(١) «الرضي على الشافية» (٢ / ٨٤ - ٨٥).

(٢) «ابن يعيش» (٦ / ١٣).

(٣) «المقتضب» (٣ / ١٦١).

التكثير كالبزاز والعطار وغير ذلك مما لا يُحصى كثرة»^(١).

وجاء في «تفسير الرازي»: «الكذاب فعَّال من فاعل للمبالغة، أو يقال: بل من فاعل كخياط وتمر. نقول: الأول هو الصحيح الأظهر على أن الثاني من باب الأول لأن المنسوب إلى الشيء لا بد له من أن يُكثَرَ من مزاوله الشيء فَإِنَّ مَنْ خَاطَ يوماً ثوبه مرة لا يقال له خياط»^(٢).

٣- فاعل :

وتكون هذه الصيغة لما كان صاحب شيء من غير مزاوله وكثرة معالجة، فالذي صنعته النبل يقال له: نبال، وصاحب النبل من غير صنعة (نابل)، وتقول لمن صنعته اللبن والتمر، أي: يبيعهما لبان وتمر، وتقول لصاحب اللبن والتمر من غير صنعة أو مزاوله لابن وتمر.

قال سيبويه: «وأما ما يكون ذا شيء وليس بصنعة يعالجها فإنه مما يكون فاعلاً وذلك قولك لذي الدرع: دارع، ولذي النبل: نابل، ولذي النشاب: ناشب، ولذي التمر: تامر، ولذي اللبن: لابن. قال الحطيئة:

فَغَرَزْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ بِالصِّيفِ تَامِرٌ

وتقول لمن كان شيء من هذه صنعة: لبان وتمر ونبال. وليس في كل شيء من هذا قيل هذا. ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر برار، ولا لصاحب الفاكهة فكاه؟»^(٣) والمبرد يقيس هذا^(٤).

وجاء في «شرح الرضي على الشافية»: «وفاعل يكون لصاحب الشيء من غير

(١) «المخصص» (١٥ / ٦٩)، وانظر «التسهيل» (٢٦٦)، «الهمع» (٢ / ١٩٨)، «النصريح» (٢ / ٣٣٧)،

«الأشْمُونِي» (٤ / ٢٠٠).

(٢) «التفسير الكبير» (ج ٢٩ ص ٥١).

(٣) «سيبويه» (٢ / ٩٠).

(٤) «الأشْمُونِي» (٤ / ٢٠١).

مبالغة وكلاهما محمولان على اسم الفاعل وبناء مبالغته يقال (لابن) لصاحب اللبن، و(لبان) لمن يزاوله في البيع أو غيره. وقد يستعمل في الشيء الواحد اللفظان جميعاً كسياف وسائف، وقد يستعمل أحدهما دون صاحبه كقواس وتراس. وفعال في المعنى المذكور أكثر استعمالاً من فاعل وهما مع ذلك مسموعان ليسا بمطردين^(١).

وقال ابن يعيش: «وما كان من هذا ذا شيء وليس بصنعة يعالجها أتوا بها على (فاعل) وذلك لأن فاعلاً هو الأصل وإنما يعدل عنه إلى فعال للمبالغة فإذا لم ترد المبالغة جيء بها على الأصل لأنه ليس فيه تكثير. قالوا لذي الدرع (دارع) ولذي النبل (نابل) ولذي النشاب (ناشب) ولذي اللبن والتمر (لابن وتامر) . . .

وفاعل هنا ليس بجارٍ على الفعل إنما هو اسمٌ صيغ لذي الشيء. ألا ترى أنك لا تقول: درع يدرع ولا لبن يلبن. . .

وإن كان شيء من هذه الأشياء صنعة ومعاشاً يداومها صاحبها نسب على فعال، فيقال لمن يبيع اللبن والتمر: لبان وتمار، ولمن يرمي بالنبل: نبّال^(٢).

وجاء في «المقتضب»: «فإن كان ذا شيء، أي: صاحب شيء بُني على (فاعل) كما بني الأول على فعال فقلت: رجل فارس أي: صاحب فرس، ورجل دارع ونابل وناشب أي: هذه آله فأما قوله:

وليس بذي رمح فيطعنني به وليس بذي سيف وليس بنبّال

فإنه كان حقه أن يقول: وليس بنابل ولكنه كثر ذلك منه ومعه . . . وكذلك كل مؤنث نعت بغير هاء نحو: طامث وحائض ومتثم وطالق^(٣).

وقد مر بنا هذا سابقاً.

(١) «الرضي على الشافية» (٢ / ٨٤ - ٨٥).

(٢) «ابن يعيش» (٦ / ١٣ - ١٤).

(٣) «المقتضب» (٣ / ١٦١ - ١٦٢).

وجاء في «المخصص» في تامر ولابن: «وهذا يكون على ضربين: على فاعل وعلى فعّال، وقد فرق حُذائق النحويين بينهما تفريقاً لطيفاً فقالوا: الباب فيما كان ذا شيء وليس بصنعة يعالجها أن يجيء على فاعل لأنه ليس فيه تكثير كقولنا لذي الدرع: دارع، ولذي النبل: نابل، ولذي الشاب: ناشب... والباب فيما كان صنعة ومعالجة أن يجيء على فعّال لأن فعّالاً لتكثير الفعل وصاحب الصنعة مداوم لصنعتة فجُعِلَ له البناء الدال على التكثير كالبراز والعطار وغير ذلك مما لا يحصى كثرة. وقد يستعمل في الشيء الواحد اللفظان جميعاً قالوا: رجل سائف وسيّاف وقد يستعمل أحدهما في موضع الآخر يقال: رجل ترّاس، أي: معه ترس، ذهبوا إلى أنه ملازم فأجروه مجرى الصنعة والعلاج»^(١).

فاتضح بهذا أن الصيغة الأولى أعني فعّالاً شبيهة بفعّال في المبالغة فلما كانت تلك للكثرة جعلت ههنا للصنعة والمزاولة، وقد اختلف في أي منهما هو الأصل لصاحبه - كما مر في بحث المبالغة -، وأن فاعلاً شبيهة باسم الفاعل أو منقولة منه، ولما كان اسم الفاعل لا يفيد التكثير والمبالغة عموماً كانت ههنا كذلك.

٤ - فَعِلَ (بفتح الفاء وكسر العين):

وتأتي هذه الصيغة لما كان صاحب شيء كفاعل نحو: نَهَرَ لصاحب العمل بالنهار، وطَعِمَ وَلَبِنَ وعَمِلَ أي: صاحب طعام ولبن وعمل^(٢).

قال الراجز:

لَسْتُ بِلَيْلِي وَلَكِنِّي نَهَرُ لَا أَدْلَجُ اللَّيْلَ وَلَكِنْ أَبْتَكُرُ
أي: صاحب عمل بالنهار.

(١) «المخصص» (١٥ / ٦٩)، وانظر «التسهيل» (٢٦٦)، «الهمع» (٢ / ١٩٨)، «التصريح» (٢ / ٣٣٧)،

«الأشْمُونِي» (٤ / ٢٠٠).

(٢) «الهمع» (٢ / ١٩٨)، «الأشْمُونِي» (٤ / ٢٠١)، «التصريح» (٢ / ٣٣٧).

وهذه الصيغة تختلف عن صيغة (فاعل) في معنى النسب، فإن (فَعَلًا) صيغة مبالغة تدل على الكثرة ومنها نقلت إلى النسب كما نقلت (فَعَال) إليه كما يرى أكثر النحاة.

وكما أشبهت (فَعَال) في النسب (فَعَالًا) في المبالغة في الدلالة على المزاولة والتكثير وكما أشبه (فاعل) في النسب اسم الفاعل في عدم الدلالة على المزاولة والتكثير أشبهت (فَعِل) في النسب (فَعِلًا) في المبالغة في الدلالة على الكثرة.

فاللبان هو الذي يبيع اللبن، واللابن لمن كان صاحب لبن ولكن لا على جهة البيع، واللَّبْنُ لمن كان عنده اللبن كثيراً ولكن لا على جهة الاحتراف والبيع أيضاً.

جاء في «شرح الرضي على الشافية»: «وكما استعملوا فعلاً لما كان في الأصل للمبالغة في اسم الفاعل في معنى ذي الشيء الملازم له استعملوا فعلاً أيضاً وهو بناء مبالغة اسم الفاعل نحو: عَمِلَ للكثير العمل، وطَعِنَ وَلَيْسَ وَلَيْسَ في معنى النسبة فاستعملوه في الجوامد نحو: رجل نَهْرٌ لصاحب العمل بالنهار»^(١).

وجاء في «المحكم»: «ماء عَذِب (بكسر الذال) كثير القذا والطحلب، أراه على النسب لأنني لم أجد له فعلاً»^(٢)، ويقال: (أَرْضُ شَجَرَة): إذا كانت كثيرة الشجر^(٣).

فدل ذلك على أن (فَعِلًا) في النسب تفيد التكثير ولكن لا على جهة المزاولة والاحتراف مشبهة نظيرتها في المبالغة.

وقد نقلت (مفعال) و(مفعيل) من المبالغة إلى النسب كما نقلت فَعَال وفَعِل إليه نحو: معطار، أي: ذات عطر، وناقعة محضير، أي: ذات حُضْر^(٤). والصيغة إذا نقلت يصحبها معناها العام في الغالب.

(١) «الرضي على الشافية» (٢ / ٨٨).

(٢) «المحكم» (٢ / ٦١).

(٣) «ديوان الأدب» (١ / ٢٥٠).

(٤) «الهمع» (٢ / ١٩٨)، «الأصموني» (٤ / ٢٠١).

مراجع البحث

- * «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي - ط ٣ / ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.
- * «أدب الكاتب» لابن قتيبة تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط ٤ / ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
- * «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود محمد العمادي، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد برقم ٢١٠٣.
- * «الأشباه والنظائر» لجلال الدين السيوطي - حيدر آباد الدكن سنة ١٣١٧ هـ.
- * «الاشتقاق» لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، نشر محمد عبد المنعم خفاجي.
- * «إصلاح المنطق» لابن السكيت، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف بمصر.
- * «الاقتضاب في شرح أدب الكاتب» لابن السيد البطليوسي - المطبعة الأدبية - بيروت سنة ١٩٠١.
- * «ألفاظ الأشباه والنظائر» منسوب لعبد الرحمن بن الأنباري - القسطنطينية سنة ١٣٠٢ طبع بمطبعة أبي الضياء.
- * «الأمالي» لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ط ٣ / ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م، مطبعة السعادة بمصر.

- * «أنوار التنزيل» لليضاوي - دار الطباعة المنيرية.
- * «الأيام والليالي والشهور» لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق إبراهيم الأبياري - المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٥٦.
- * «الإيضاح» للقزويني - تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر - مطبعة السنة المحمدية.
- * «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية - الطباعة المنيرية.
- * «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم - ط ١ / ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية.
- * «البهجة المرضية في شرح ألفية ابن مالك» للسيوطي، طبع دار إحياء الكتب العربية.
- * «تاج العروس شرح القاموس» لمحمد مرتضى الزبيدي - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - تصوير الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ.
- * «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر - دار إحياء الكتب العربية.
- * «تسهيل السبل في فهم معاني التنزيل» لمحمد تاج الدين أبي الحسن البكري، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد برقم ٢٣٢٠.
- * «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» لابن مالك - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
- * «التفسير القيم» لابن القيم جمع محمد أويس الندوي - مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م.
- * «التفسير الكبير» لفخر الدين الرازي - المطبعة البهية - مصر.

* «التلويع في شرح الفصيح» لأبي سهل محمد بن علي الهروي، نشر محمد عبد المنعم خفاجي.

* «تهذيب الألفاظ» لابن السكيت.

* «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» - مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

* «حاشية الصبان على شرح الأشموني» - دار إحياء الكتب العربية.

* «حاشية يس على التصريح» - دار إحياء الكتب العربية.

* «الخصائص» لابن جني - تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية - ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

* «دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم» للدكتور مصطفى جواد - مطبعة أسعد بيغداد.

* «دراسات في اللغة» للدكتور إبراهيم السامرائي - مطبعة العاني - بغداد سنة ١٩٦١.

* «درة الغواص في أوهام الخواص» لأبي محمد القاسم بن علي الحريري - نشرته بالأوفست مكتبة المثني ببغداد.

* «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني ط ٣، نشر دار المنار بمصر سنة ١٣٦٦هـ.

* «ديوان الأدب» لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي - تحقيق دكتور أحمد مختار عمر - القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

* «ديوان الأدب» لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي - مخطوطة بمكتبة المتحف العراقي ببغداد برقم ١٢٩٧.

* «ذيل فصيح ثعلب» - لموفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي.

* «شذا العرف في فن الصرف» للشيخ أحمد الحملوي، ط ١٥ / ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

* «شرح ابن عقيل».

* «شرح الأشموني على ألفية ابن مالك» - دار إحياء الكتب العربية.

* «شرح ألفية ابن مالك» لابن الناظم - المطبعة العلوية - النجف ١٣٤٢هـ.

* «شرح التصريح على التوضيح» - للأزهري - دار إحياء الكتب العربية.

* «شرح الشافية» لرضي الدين الاسترابادي - تحقيق محمد محيي الدين وجماعة - مطبعة حجازي بالقاهرة.

* «شرح الشافية» لابن الحاجب، للسيد عبد الله بن محمد الحسيني، ط ٢، استانبول مطبعة أحمد كامل.

* «شرح الكافية» لرضي الدين الاسترابادي.

* «شرح المعلقات السبع» للزوزني طبعة إيرانية.

* «شرح المفصل» لابن يعيش - طبع ونشر إدارة الطباعة المنيرية.

* «الصاحبي في فقه اللغة» لأحمد بن فارس - مطبعة المؤيد - القاهرة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.

* «الصحاح» للجوهري - مطابع دار الكتاب العربي - مصر.

* «ضوابط الفنون» لأبي البقاء الحسيني الكفوي، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد ٦٠١٠.

* «الطراز» ليحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.

* «الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام، مخطوطة بمكتبة المتحف

العراقي ببغداد برقم ١٦٢٨ .

* «الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري - نشر مكتبة القدسي سنة ١٣٥٣ .

* «فقه اللغة» لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي - مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .

* «القاموس المحيط» - لمجد الدين الفيروزآبادي، ط ٥ / ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م - شركة فن الطباعة .

* «الكامل» لأبي العباس المبرد، تحقيق الدكتور زكي مبارك، ط ١ / ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

* «كتاب سيبويه» - مصور عن طبعة بولاق - نشر مكتبة المثنى ببغداد .

* «الكشاف» للزمخشري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

* «كشف الطرة عن الغرة» لأبي الشاء محمود بن عبد الله الآلوسي، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد .

* «كفاية المتحفظ» لأبي إسحاق إبراهيم الطرابلسي، المعروف بابن الأجدابي، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد برقم ١٠٠٩٦ .

* «الكلديات» لأبي البقاء الحسيني الكفوي، طبعة بولاق ط ٢ .

* «كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ» لابن السكيت - المطبعة الكاثوليكية - بيروت سنة ١٨٩٥ .

* «لسان العرب» لابن منظور - مصورة عن طبعة بولاق .

* «لطائف اللغة» لأحمد بن مصطفى اللبابيدي الدمشقي - دار الطباعة العامة - الأستانة .

* «مبادئ اللغة» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي
- مخطوطة بمكتبة المتحف العراقي ببغداد برقم ١٧٦٣ .

* «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لنصر الله بن الأثير، تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .
* «مجالس ثعلب» تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر .

* «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» لابن جني، تحقيق
علي النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي - القاهرة ١٣٨٩هـ -
١٩٦٩م .

* «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده، تحقيق مصطفى السقا ودكتور حسن
نصار، نشر شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط ١ / ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م .
* «المخصص» لابن سيده - المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت
مصور عن الطبعة الأميرية سنة ١٣٢١هـ .

* «المزهر في علوم اللغة» لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد
المولى وجماعة، دار إحياء الكتب العربية، ط ٤ سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م .
* «معاني القرآن» للفرّاء، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار - الدار المصرية
للتأليف والترجمة .

* «معترك الأقران في إعجاز القرآن» لجلال الدين السيوطي تحقيق علي محمد
البجاوي .

* «المغرب في ترتيب المعرب» لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي
المطرزي، ط ١، حيدرآباد الدكن - مطبعة مجلس المعارف سنة ١٣٢٨هـ .

* «المفردات في غريب القرآن» لأبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب
الأصفهاني - طهران .

- * «المفصل» للزمخشري، عني بنشره محمود توفيق - مطبعة حجازي - القاهرة.
- * «المقتضب» لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - القاهرة ١٣٨٦هـ.
- * «نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» للفخر الرازي - مطبعة الآداب والمؤيد بمصر القاهرة سنة ١٣١٧هـ.
- * «النوادر في اللغة» لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري - المطبعة الكاثوليكية - بيروت سنة ١٨٩٤.
- * «همع الهوامع» للسيوطي، ط ١ سنة ١٣٢٧هـ، مطبعة السعادة بمصر.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الاسم والفعل	٩
المصادر	١٧
المصدر الميمي	٣١
اسم المرة والهيئة	٣٤
المفعلة	٣٤
التفعلة	٣٥
الفُعْلة والفُعْلة	٣٥
أسماء المكان والزمان	٣٦
اسم الفاعل	٤١
زمن اسم الفاعل	٤٤
دلالاته على النسب	٤٦
اسم المفعول	٥٢
فعليل	٥٣

٥٦	فعليلة
٥٨	صيغ أخرى للدلالة على مفعول
٦٣	مبالغة اسم المفعول
٦٥	الصفة المشبهة
٦٩	دلالات أبنية الصفة المشبهة
٩٢	أبنية المبالغة
١٠٩	اسم الآلة
١١٣	الجموع
١١٤	أسباب اختلاف أوزان الجموع
١٢٦	جمع الصفات
١٢٦	الجمع السالم
١٣٠	جمع التكسير
١٣٠	أوزانه ومعانيها
١٥٠	النسب
١٥٠	١ - النسب بإلحاق الياء المشددة
١٥١	٢ - فعّال
١٥٣	٣ - فاعل
١٥٥	٤ - فعّل
١٥٧	المصادر
١٦٥	الفهرس

كتب مطبوعة للمؤلف صدرت عن دار عمار

- ١ - «نداء الروح» ط ٢ .
- ٢ - «ابن جني النحوي» ط ٢ .
- ٣ - «الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري» ط ٢ .
- ٤ - «أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية» ط ٢ .
- ٥ - «نبوة محمد من الشك إلى اليقين» ط ٢ .
- ٦ - «بلاغة الكلمة في التعبير القرآني» ط ٢ .
- ٧ - «التعبير القرآني» ط ٢ .
- ٨ - «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل» ط ٢ .
- ٩ - «معاني الأبنية في العربية» .

كتب أخرى للمؤلف

- ١٠ - «معاني النحو» .
- ١١ - «الجملة العربية والمعنى» .

كتب صدرت للدكتور محمد فاضل السامرائي

عن دار عمار

- ١ - «الحجج النحوية حتى نهاية القرن الثالث الهجري» .
- ٢ - «دراسة المتشابه اللفظي من أي التنزيل في كتاب ملاك التأويل» .
